مع الله

رواية قصيرة
وحكايات من الواقع

زياد غزال فريحات

ما أجمل الإستـغفار ! فهو يزيل الصدأ الذى يتراكم على القلوب والنفوس ، ويأخك إلى مناجاة الله ويقودك إلى معرفته ،هو شعار عظيم للعبودية وسبيل للخروج من كل ضيق، والفرج من كلّ هم ، وسبب لحصول الرزق والأولاد ومصدر من مصادر القوة

عناوين القصص

الرِّداء المقاوم للرصاص

شكل آخر للحب

مشاعر العظمة

أوجاع سداد الدّين

حبال المشانق المنسوجة من الحسد

طلقات الاكتئاب التى لا تتوقف

أنا مسحورة أم مريضه

المُقامر

زياد غزال فريحات

بسم الله الرحمن الرحيم

مع الله

رواية قصيرة

وحكايات من الواقع

زياد غزال فريحات

مع الله

(رواية قصيرة وحكايات من الواقع)

مجموعة قصصية

الطبعة الأولى عام 2022م

رقم الايداع لدى دائرة المكتبة الوطنية

2022/3/20

ISBN 978_64_419_132_8

فهرس القصص

الرداء المقاوم للرصاص.....7

شكل آخر للحب.....37

مشاعر العظمة.....52

أوجاع سداد الدين.....63

حبال المشانق المنسوجة من الحسد.....73

طلقات الاكتئاب التي لا تتوقف 81

أنا مسحورةٌ أم مريضة.....99

المقامر 117

رواية

الرِّداءُ المقاومُ للرصاص

(قصة موضوعها الاستغفار وآثاره)

زياد غزال فريحات

هـــاتفتني ميرنـــا وتوســـلت إلـــيَّ أن أرافقهـــا إلـــى الكنيســـة لأمر هام، فقلتُ لها باستغراب:

* كيف أذهبُ معك وأنا امراة مسلمة...

كرّرت توسّلها ورجاءها وقالت:

ـ لا يوجـد مـا يـدل أنـك امـراة مسـلمة، فـنحن مظهرنـا واحـد، أرجـوك يـا سـلمى أنـا فـي أمـسّ الحاجـة إليـك غداً.

وافقـــت علـــى الـــذهاب معهـــا والاســـتغراب يغمرنـــي، فـــرغم صـــداقتنا القديمـــة لـــم تطلـــب منـــي طلبـــاً مثـــل هـــذا، وفـــي الصـــباح التقينـــا وأخبرتنـــي أنهـــا علـــى موعـــد مســـبق مـــع القـــس؛ لأجـــل الاعتـــراف لـــه بـــذنوبها ليمنحها المغفرة نيابة عن الربِّ...

سألتها:

* لماذا أنت مضطربة ؟

ـ لأنها المرة الأولى في حياتي.

دخلنا إلى الكنيسة، ثم دخلنا إلى قاعة يتجمع فيها الأشخاص المذنبون منتظرين أدوارهم للجلوس على كرسيّ أمام القس ليعترفوا له بذنوبهم، وبعد ساعة تقريباً جاء دور ميرنا فذهبت وأقفلت خلفها الباب، فمكثت ما يقارب ربع ساعة، ثمّ خرجت ووجهها مصبوغ بالخجل الذي أخذ يتلاشى شيئاً فشيئاً، وبعد أن خرجنا من باب الكنيسة أخذت تخبرني عن القشعريرة التي أصابت جسدها لحظة الاعتراف، ثم تنهّدت تنهيدة عميقة وخاطبتني:

ـ آه يا سلمى! كم أحسّ الآن بالراحة والطمأنينة بعد أن منحني القس المغفرة نيابة عن الربِّ...

في الطريق وقفت ميرنا أمام عربة لبيع الكعك والسمسم، واشترت لي ولها ومشينا حتى افترقنا...

وصلت البيت قبل عودة زوجي من عمله وولديّ خالد ورائد من مدرستهم، وعندما قدم زوجي قصصت له ما حدث مع ميرنا، فتبسَّم، فقلت له:

* ما الذي يجعلك مبتسماً ؟

قال وهو يتحاشى النظر إلى وجهي:

منذ زواجنا لم أسمعك تعترفين بخطأ واحد، ولم أشاهدك تعتذرين لأحد على الاطلاق...

تظاهرت بالغضب وذهبت إلى المطبخ، والحقيقة أنّي لم أكن غاضبة، فقد سمعت هذا الانتقاد من زوجي عدة مرات، فأنا أكره الاعتذار لما فيه من انكسار ورجاء في العفو، وطمع ورغبة في الصفح،

وكــلّ ذلــك صــور ســاطعة للــذلّ والمهانــة، كــم أمقــت الاعتذار لما فيه من المهانة والانكسار والتذلل ...

فــي نهايــة الأســبوع ذهبنــا لزيــارة أهــل زوجــي خــارج مدينــة عمــان، وأثنــاء وجودنــا هنــاك تكلمــت بكلمــات بحق عمتي، رأى الجميع أنها كلمات جارحة...

فــي طريــق العــودة لــم يكلمنــي زوجــي، كمــا أنّنــي كنــت غيــر مســتعدة للاعتــراف بــذنبي، ولــم يخطــر فــي ذهنــي مجرد خاطر أن اعتذر لعمتي....

فجــأة وســط هــذا الصــمت المشــحون بــالتوتر، إذ بالســيارة تنحــرف عــن مســارها، منزلقــةً إلــى حافــة الطريــق، وتتــدحرج إلــى الــوادي، فــي هــذه اللحظــات فقدت الوعي...

بعد مدة لا أعلم قدرها فتحت عينيّ؛ وإذا بي على بعد أمتار من السيارة تفصلني عنها صخرة كبيرة منبسطة، وما هي إلا لحظات حتى أخرج الناس زوجي محمولاً فاقداً الوعي، ووضعوه على الصخرة المنبسطة، ثم أخرجوا خالدًا ورائدًا، ووضعوهما بجانب أبيهما، وخيط غليظ من الدماء يسيل ويتجمع في بقعة منخفضة على الصخرة، فصرخت والرعب يلتهمني ويغتالني حتى أفقدني الوعي...

استيقظت وأنا في المستشفى مصابة بكسر في الفخذ الأيسر، وأخي وزوجته بجانبي، سألتهم على الفور عن زوجي وولديّ ؟

فأخبرني أخي أنهم نُقلوا إلى المدينة الطبية لإجراء فحوصات غير متوفرة في هذا المستشفى... ثم قال ليخفف من خوفي وقلقي:

ـ إنَّ إصاباتهم ليست خطيرة.

* إن لـم تكـن خطيـرة فلمـاذا نقلـوهم إلـى المدينـة الطبية ؟

ـ لأن بعض إصاباتهم في الرأس.

فطلبـت أن أكلمهـم عبـر الهـاتف، وعلـى الفـور قـام أخـي بالاتصـال مـع حمـاي، فـأخبره عمـي أنهـم نائمون...

فـي اليـوم التـالي قـرر الأطبـاء أن كسـري لا يحتـاج إلى عملية، وإن الجبيرة تكفيه...

غـادرت المستشـفى بعـدما قضـيت فيـه خمسـة أيـام مصـطلية بنـار القلـق والخـوف؛ لأننّـي لـم اسـتطع خلالهـا أن أكلّـم ولـدَيَّ وزوجـي، عزمـتُ علـى التوجـه مـن المستشـفى إلـى المدينـة الطبيـة مباشـرة، غيـر أنّ

أخي تعذّر بانتظار مديره له لأمر هام، نظر في عينيّ من مرآة السيارة وقال:

* صدِّقيني لا أستطيع الذهاب اليوم، سنذهب غداً، هذا وعدٌ مني، ستمكثين معنا إلى حين خروجهم من المستشفى...

في اليوم التالي صحوت باكرًا، وذهبت إلى الحمام متّكئة على عكازين، كان الوضع صعباً إلا أنني عازمة على الاعتماد على نفسي، ومقاومة تسرّب هذا الكسر إلى قلبي، وخلال عودتي إلى غرفتي، دققت باب غرفة أخي، ففتحت زوجته الباب، وعلى الفور حاولت مساعدتي، إلا أنّني أصررت على الاعتماد على نفسي، وقلت لها:

* أريد عمل ماكياج خفيف جدًا ... هلّا أعرتِني الأدوات ؟

هــزّت رأســها ودخلــت غرفتهــا ورجعــت إلــى غرفتــي، وبعــد لحظــات جــاءني أخــي وزوجتــه، وبعــد صــمت مريب قال:

* علينــا أن نؤجــل ذهابنــا إلــى المدينــة الطبيــة؛ لأنَّ زوجــك وولــديك نُقِلــوا إلــى غرفــة العنايــة المركــزة، لقــد تدهورت حالتهم ولا أحد يعرف السبب...

نهضــتُ وأخــذتُ أســير نحــو بــاب الشــقة وأنــا أضــرب العكــازين علــى الأرض غاضــبة، فاعترضــني أخــي وصرخ مشفقا إلى أين ؟

* إلــى المدينــة الطبيــة، لــن أرجــع حتــى أرى ولــديَّ وزوجي...

ـــ اجلســي دقيقــة، واســمعيني وبعــدها افعلــي مــا تشائين؟

جلسْتُ والفزع يتسرب إلى أحشائي كلّها، وأخذ أخي يمهد شيئاً فشيئاً؛ ليخبرني بوفاة زوجي وولديَّ نتيجة الحادث، في تلك اللحظة شعرت بنهايتي...

لقد سمعت انفجار معاني حياتي...

ورأيت سبب وجودي في الحياة مذبوحاً أمامي...

بكيت بكاء المرأة المذهولة التي لا تستطيع استيعاب أو حتى تخيّل واقعها الجديد...

مكثت أسبوعاً والمعزّون من أقاربي وأقارب زوجي لا يفارقون مجلسي، وبعدما انقطع المعزّون، مكثت وحيدة في غرفتي، أنهض من نومي المتقطع باكرًا لأوقظ ولديّ على موعد المدرسة المعتاد، وما أن أخرج من غرفتي حتى أتذكر الواقع القاتل، كثيرا ما نهضت عند سماع الجرس لأفتح الباب لزوجي

فتــوقفني الــذكرى الأليمــة، فــأرجع إلــى غرفتــي وقلبــي شظايا متقطعة تنزف ألمًا وحرمانًا وشوقًا وعذابا...

بعــد أســبوعين علــى فــاجعتي، ذهبــت مــع أخــي لزيــارة قبــور الأحبــة، وقفــت علــى قبــورهم أكثــر مــن ســاعتين والبكــاء لــم يتوقــف، والآهــات تعلــو وتــنخفض طــوال الوقــت، ونظراتــي لاتجــرؤ الابتعــاد عــن قبــورهم؛ عبــر الــدموع والآهــات والحســرات، كــان نــداءٌ ينبعــث مــن أعمــاقي طــوال الوقــت، اســمع النــداء لكنــي لا أفهمــه، والنــداء فــي أعمــاقي يعلــو ويعلــو ثــم شــرع يــدقّ بعنــف قلبــي وعقلــي وأحشــائي، وأنــا لا أفهــم مــاذا يريــد النــداء الصــاخب فــي أعمــاقي، ومــا أن غــادرت قبــورهم عــدة أمتــار حتــى فهمــت هــذا النــداء، إنَّــه يطلــب منــي أن أطلــب الصــفح مــن زوجــي وولــديّ عــن أخطــائي بحقّهــم، ينــاديني هــذا الصــوت فــي أعماقي أن أعتذر لهم عن تقصيري في حقهم،

أن أطلب العفو عن زلاتي، هذه هي المرة الوحيدة في حياتي التي ينبعث من داخلي نداءٌ يدفعني لطلب الصفح والعفو والاعتذار، ورغم هذا الموقف الرهيب وهذا النداء اللحوح الصارخ في أعماقي، لم أستطع أن ألبي هذا النداء، بل ربما أنني لا أعرف كيف يمارس طلب الصفح والاعتذار، ومضيت على العكازين ببطء شديد والنداء يدوّي في أعماقي كالقنابل الحارقة...

مضت أيامي كئيبة سوداء تخلو من كل ألوان الحياة، وبعد فك الجبيرة بأشهر عملت في إحدى المدارس الخاصة الصغيرة معلمة، وذات مرة وبينما كنت متوجّهة إلى مدرستي في الحافلة العامة سمعت حديث شابّين كانا يجلسان بالقرب مني، كان أحدهما يروي لصديقه قصة صديق له حاول الانتحار بإطلاق رصاصة في فمه، ولكنَّه لم يمت،

وبعد أيام معدودة في الغيبوبة، اسيقظ هذا الشاب أبكمًا، فأراد أن يطلب الصفح من الله بصوته لكنَّه لم يستطع، كان يكتب لزوّاره:

" لا أريد من الحياة سوى أن أستغفر الله بصوتي، أن أطلب منه الصفح بكلمات أسمعها، أن أطلب العفو والمغفرة بعبارات مشبعة بالندم والحسرة، أريد الاعتذار إلى الله بفم ملآن، لا أريد أن أنطق الاستغفار عن الذنب فقط، بل أريد أن أنطق الاستغفار لتقصيري في حق الله، لعجزي عن شكر الله على نعمه الكثيرة التي لم أكن أراها أو أشعر بها وبأهميتها في حياتي"

وصلت الحافلة إلى مكان عملي ولكني لم أنزل، لقد بقيت اسمع ما كتبه هذا الشاب الذي فقد نطقه بسبب ذنبه لمحاولته الانتحار وكانت أخر كلمات سمعتها من كتابة هذا الشاب:

" إنَّ عبارات الاستغفار محبوسة في قلبي، تتفلت لتخرج من فمي دون جدوى، كم أتمنى أن أنظر إلى السماء وأقول استغفر الله العظيم، وأبقى أرددها حتى يبح صوتي "

نزلت من الحافلة وأنا على بعد مئات الأمتار عن مدرستي، فوقفت على الرصيف وأخذت شهيقاً ونظرت إلى السماء وقلت:

* استغفر الله العظيم.

ومضيت إلى عملي وكلما مشيت عدة خطوات وقفت ناظرة إلى السماء وقلت:

* استغفر الله العظيم.

وكلما اقتربت من المدرسة أكثر؛ ازداد إحساسي بقشعريرة في جسدي أكثر، و بشيء جامدٍ يذوب

فـــي صـــدري، وبغـــلاف يتهتـــك عـــن قلبـــي، وبســـتائر تســـدل عـــن عينـــيّ، وبأثقـــال تتســـاقط عـــن ظهـــري، دخلـــت المدرســـة وتلـــك الأحاســـيس، مـــا زال طعمهـــا يتجدد في قلبي...

وصلت الحصة الثالثة حيث كنت في استراحة، أخذت افطاري وأردت الابتعاد قليلا لحاجتي للجلوس وحدي، وعندما اقتربت من نوافذ الصف الثالث الأساسي، سمعت المعلمة تدرّب الطلاب على أنشودة، المقطع الذي يكررونه بعد كل فقرة هو:

ربِّ اغفر وارحم

واعف وتكرَّم

وتجاوز عما تعلم

إنك تعلمُ ما لا نعلم

إنك أنتَ الأعز الأكرم

وقد علمت فيما بعد أن هذا المقطع هو دعاء للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومكثت بجانب النافذة اسمع، ودون وعي مني أخذت شفتاي تتحرك وتردّد هذا المقطع بلا صوت، ثم طلبت المعلمة من الطلاب إعادة الأنشودة، فأخذت أردد المقطع مع الطلاب بصوت خافت، ثم أعاد الطلاب الأنشودة للمرة الثالثة، فدخلت إلى صفهم بعفويّة، رددت المقطع معهم بصوت عالٍ وبانفعال صارخ، ولما انتهت الأنشودة، نظرت المعلمة إلى شعري المكشوف، وقالت:

ـ هل أعجبتك ؟ إنها بقلم والدي، عندما كتبها قال: " أنا لا أتقن كتابة الشعر إنما أتقن الاستغفار، وكيف لا أتقنه ورسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو المعصوم من الذنب كان يستغفر ربَّه في اليوم أكثر من سبعين مرة "

قلت لها:

*** إنها أنشودة رائعة ... إنها حقاً رائعة !**

ــ كــان والــدي يــردد دائمــاً... " الاســتغفار نبــع مــن ينــابيع الخيــرات، وقلعــة تــتحطم علــى جــدرانها الشرور... الاستغفار هو رداء مقاوم للرصاص...

انتهــى الــدوام وشــعوري بالتعــب أقــلّ مــن العــادة، عــدت إلــى البيــت وعلــى بعــد مئــات الأمتــار مــن البيــت نزلــت مــن الحافلــة، وســرت بهــدوء نحــو البيــت وأنــا أنظــر إلــى الســماء وأقــول: اســتغفر الله، ولمــا اقتربــت مــن البيت شرعت أردد :

ربِّ اغفر وارحم

واعف وتكرَّم

وتجاوز عما تعلم

إنك تعلمُ ما لا نعلم

إنك أنتَ الأعز الأكرم

دخلت بيت أخي، وذهبت للاغتسال على الفور، ثم اندفعت للصلاة، ولكني لم أجد غطاءً أضعه على رأسي، فوضعت المنشفة، وشرعت أصلي ...

هي صلاة لله فقط، لم أحدد في نيتي صلاة معينة، كما أني في الحقيقة لا أتقن الصلاة، فكانت صلاة مليئة بالأخطاء، ولكنها أيضاً مليئة بالبكاء والخشوع وطلب الصفح والعفو والمغفرة...

منـــذ ذلـــك اليـــوم التزمـــت الحجـــاب والصـــلاة والاســتغفار، وأصــبح كــلّ كــلام عــن الاســتغفار يشــدّ انتبــاهي ويلتصــق بــذاكرتي، وبعــد عــدة أســابيع مــن ملازمتـــي الاســـتغفار، ذهبـــت لزيـــارة قبـــور ولـــديّ وزوجـــي، ومـــا أن وقفـــت علـــى قبـــورهم حتـــى تســـاقطت الـــدموع وانطلقـــت نـــداءات الصـــفح والاعتـــذار، ولـــم يخـــرج مـــن قلبـــي وفمـــي طـــوال مكـــوثي ســـوى طلـــب الصـــفح والعفـــو مـــن زوجـــي وولـــديّ، لقـــد اعتـــذرت إلـــيهم لأول مـــرة فـــي حيـــاتي وبعـــد حيـــاتهم، ثـــم غـــادرت قبـــورهم ونفســـي هادئـــة مطمئنـــة بعيـــدة عـــن دويّ القنابل الحارقة...

لقـــد فعـــل الاســـتغفار فـــي نفســـي الكثيـــر، لقـــد اســـتطاع الاســـتغفار أن يحـــلّ عقـــدة الإصـــرار الخـــاطئ فـــي قلبـــي وأعماقي ...

بعد ما يقارب السنتين من وفاة زوجي، تقدم لخطبتي رجل توفيت زوجته، وتركت له ولدين هما في عمر ولديّ عليهما رحمة الله، تزوجت منه وعشت معه وولديه، كنت أتضايق كثيراً من الولدين، فكلما تضايقت أكثر استغفرت الله أكثر، ومرّت الأيام حتى انقطعت دورتي الشهرية ففرحت فرحاً شديداً معتقدة أني حامل، فقد بلغت من العمر ثمان وثلاثين سنة، وفرصتي في الحمل تتضاءل مع الأيام، فهرعت إلى إجراء الفحص، لكن النتيجة جاءت بعدم وجود حمل، ثم هجرتني الدورة عدة شهور، وفي كلّ شهر أكرّر إجراء الفحص وتأتي النتيجة في كلّ مرة كسابقاتها، أخذ الإحباط يبتلعني بتمهل، فقد كنت أطمع بأن يمدني الله بالأولاد، هذا ما كان يراودني عندما أردد قوله تعالى: { استغفروا ربكم إنَّه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال

وبنين} كان في داخلي أمل يكبر بأني سأنجب أولاداً من جديد، لكن أصبحت أحدث نفسي:

ربما يمدني الله بأولاد ليسوا من رحمي، قد يكونوا أولاد أخي أو أولاد زوجي... الإمداد لا يعني الإنجاب...

مع تكرار انقطاع الدورة عدة شهور وتكرار إجراء الفحص الذي تأتي نتيجته بالنفي، وصلت إلى قناعة أن الأولاد الذين سيمدني الله بهم ليسوا من رحمي، وما كدت أكمل سن الأربعين حتى شعرت بتقلبات جسدية ونفسية لا تخفى على امرأة جربت الحمل، ولكني بقيت متشككة بسبب تضائل الأمل في داخلي، ولكن الأمل بدأ يكبر مع الأيام، فذهبت لإجراء الفحص، فجاءت النتيجة مبشرة بالحمل، ومرت أيام الحمل وأنا فيها أقوى من السابق، وجاءني خالد، فقد سميته على اسم أخيه

المتوفى، وبعد سنة أنجبت رائد وهو أيضا على اسم أخيه عليه رحمة الله...

بالرغم من انجابي خالد ورائد وأنا في سن الأربعين، إلا أنني كنت أقوى من السابق، بل أشعر أني أزداد قوة، ليس في جسدي فقط بل في نفسي ومن هم حولي، لقد منحني الاستغفار قوة على الدوام، أذكر عندما استمعت لأول مرة قوله تعالى { يا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة إلى قوتكم} تعجبت من علاقة الاستغفار بالقوة !

لكنَّ هذا التعجب تلاشي بعد حملي بخالد ورائد، وتلمست الفرق بين الأمس واليوم...

كبر خالد ورائد وأصبحا في المدرسة، وفي صباح يوم جميل ذهبنا مع عائلة أخت زوجي في رحلة إلى البحر الميت، وأثناء وجودنا على الشاطئ تكلمت

بكلمات بحق أخت زوجي رأى الجميع أنها كلمات جارحة، فاعتذرت على الفور، وطلبت منها الصفح بلا تردد، وأكدت لها أنها كلمات غير مقصودة، فقبلت اعتذاري وعادت المياه إلى مجاريها...

عند عودتنا رغب ولدا زوجي العودة مع عمتهما حيث سنلتقي في بيتهم في عمان وغادروا قبلنا بخمس دقائق، وفي طريقنا رأيت زوجي مبتسماً فسألته عن سبب ابتسامته فأجابني وهو يكرر النظر في وجهي:

* أبتسم سرورًا باعتذارك السريع لأختي...

ارتسم على فمي طيف ابتسامة، ثم أزحت وجهي ونظرت من النافذة إلى السماء وقلت في نفسي:

* أستغفر الله العظيم

وأغمضت عينيّ فعاجلتني خضة عنيفة أجبرتني على فتح عينيّ فالسيارة صدمت من الخلف، وانزاحت منزلقة عن مسارها، وإذا بالسيارة تنقلب وتتدحرج إلى الوادي، في تلك اللحظات فقدت الوعي...

استيقظت وأنا بجانب صخرة منبسطة، نظرت إليها فرأيت أثار خيط غليظ من الدماء، وبقايا بقعة دماء، أعرفها جيداً، وما هي إلا لحظات حتى أخرج الناس زوجي وولديّ فاقدي الوعي ووضعوهما على الصخرة، فصرخت صرخة ملأت الوادي، وفقدت الوعي على الفور ...

استيقظت في المستشفى و لم أُصَب إلا برضوض في فخذي الأيسر، نظرت إلى أخي وزوجته، فخاطبت أخي باكية:

* أين ولداي وزوجي ؟

ـ إنهما بخير ... لا تقلقي إصاباتهم خفيفة...

صرخت بعصبية وخوف:

* أريد أن أكلّمهم!

اتصل أخي ولكن لا أحد يجيب، اقترب مني وقال:

* يبدو أنهم نائمون.

عندئذ أجهشت بالبكاء وبقيت أبكي حتى أجبرتني الحقن المسكنة على النوم...

وعندما استيقظت في الصباح فتحت عينيّ وإذا بخالد ورائد وزوجي أمامي، أصابتني صدمة الدهشة، حتى خيل إليّ أني أحلم، وظلّت نظراتي المتشككة تأكل وجوههم بصمت مشبع بالفرح...

عند العصر غادرت المستشفى مع زوجي وولديّ، وبين لحظة وأخرى أحدق بهم لأزداد يقيناً أن ما

أراه حقيقة، ولما تلاشى ذهولي لم يخطر في بالي سوى قوله تعالى { وما كان الله معذبهم و هم يستغفرون }

لقد شكل الاستغفار لنا سياجاً واقيا وأماناً من عذاب الله ...

الاستغفار هو بالفعل كما قال والد زميلتي "رداءٌ مقاوم للرصاص".

بعد تلك الحادثة بأشهر اتصلت ميرنا وطلبت مني مرافقتها إلى الكنيسة، فهي على موعد مسبق مع القس لتعترف له بذنوبها فيمنحها المغفرة نيابة عن الرب، فرحبت بذلك وأخذت إجازة من عملي وذهبت معها، لكني لم أدخل مبنى الكنيسة ومكثت في الساحة داخل الأسوار،فمظهري اليوم يدل بوضوح أنني امرأة مسلمة.

مشيت في الساحة ببطء شديد، وأخذتني الذكرى إلى أول مرة استغفرت الله فيها، كان الاستغفار بلا طقوس ولا مراسم ولا حواجز ولا وسطاء ولا شفعاء، الاستغفار هو سؤال الله مباشرة الصفح عن الذنب والستر عليه من جميع البشر دون استثناء، ما أجمل الاستغفار! فهو يزيل الصدأ الذي يتراكم على القلوب والنفوس، ويأخذك إلى مناجاة الله ويقودك إلى معرفته، هو شعار عظيم للعبودية وسبيل للخروج من كل ضيق، والفرج من كل هم، وسبب لحصول الرزق والأولاد، ومصدر من مصادر القوة، لقد عشت مع الاستغفار سنوات وسنوات، فرأيت ضياءً في وجهي وشعرت بنور في قلبي وراحة وطمأنينة في نفسي...

في ظلِّ شرودي مع الاستغفار سمعت صوت ميرنا يناديني، أخذت تخبرني كيف ارتبكت عندما

جلست أمام القس، ولكنها تمالكت نفسها واعترفت بذنوبها، وكم تشعر الآن بالراحة بعد أن منحها القس المغفرة نيابة عن الرب، وأثناء سيرنا وقفت ميرنا على عربة لبيع الكعك والسمسم واشترت لي ولها ومشينا معاً ثم ودعتها، وصلت البيت قبل زوجي وولديّ، فوقفت عند النافذة ونظراتي تتنقل إلى الناس المارين، ثم نظرت إلى السماء وأخذت أردد بصوت مسموع:

اللهم أنت ربي

لا إله إلا أنت

خلقتني وأنا عبدك

وأنا على عهدك و وعدك ما استطعت

أعوذ بك من شر ما صنعت

أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي

فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت

ثـــم قفـــزت إلـــى ذهنـــي بحنـــان أنشـــودة الطـــلاب، فتحركت شفتاي بصوت خافت:

ربِّ اغفر وارحم

واعف وتكرم

وتجاوز عمّا تعلم

إنك تعلمُ ما لا نعلم

إنك أنتَ الأعز الأكرم

***** النهاية *****

زياد غزال فريحات

قصة

شكل آخر للحب

زياد غزال فريحات

أخبرتني أمي أنني عندما خرجت إلى الحياة لم أخرج باكياً بل خرجت هادئ القسمات، بلا حركة !

فظنت القابلة أني ميت، فاستدعت الطبيب على الفور فقام بضربي على مؤخرتي، وأنا دون حركة وقسمات وجهي ثابتة لا تهتز، وبعد الضربة الثالثة ظهر علي الإحساس بالألم وعبرت عنه بصوت خافت، فتعجب الطبيب وقال وهو ينظر إليّ:

* ما هذا الطفل ! ... يبدو أنه بلا إحساس...

مضت الأيام وعندما أصبحت في المرحلة الإبتدائية من حياتي صار يضرب بي المثل للطفل المجتهد المؤدب وكانت مادتي المفضلة هي الرياضيات، فالحساب ليس مادة دراسية بالنسبة لي فقط، بل أصبح منهجًا لتفكيري وحياتي، فكل شيء أحسبه دائمًا، وأغلب حساباتي كانت دقيقة حتى وأنا طفل صغير...

أذكر مرة كان والدي ينظف ألة بالديزل فوقع على بنطالي قطرات من الديزل دون أن أشعر، وفي غفلة لا أدري كيف اشتعل بنطالي نارًا، فذهبت على الفور إلى الحمام وفتحت (الدش) وبقيت تحته حتى أطفئت النار وجميع أخوتي وأمي وأبي يصرخون، وأنا صامت لأني كنت واثقًا ضمن حساباتي أن النار ستنطفئ خلال ثواني، لقد اشتعلت النار بي، وأُطفئت دون أن يرتجف قلبي، أو يرتعش بدني أو حتى فقدان قدرتي على التفكير والحساب ...

في السنة الأولى لدراستي في الجامعة قي قسم المحاسبة مرض أبي، وكان لا بدَّ لأحد أن يسدّ مكانه في محل بيع الجملة للمواد التموينية، وكنت أصغر إخوتي الثلاثة فقررت أن أكون مكانه، لقناعتي أنه لا يصلح لهذا المكان إلا أنا، لم يكن ذلك غرورًا مني، بل يا ليته كان

غـرورًا، فأنـا فـي تلـك اللحظـات لـم أذق طعـم الغـرور فـي حياتي بل كان حسابًا دقيقًا مني...

سـرت فـي عمـل أبـي وازدادت الأربـاح خـلال السـنة الأولـى، وفـي نهايـة السـنة تـوفى أبـي، لقـد توقعـت شـفاء أبـي خـلال أشـهر وعودتـه إلـى محلـه، وعـودتي إلـى جـامعتي، رغـم أنـي أحسب كل شيء، لكن مشيئة الله كانت غير ذلك...

بقيـت أديـر محـل أبـي ولـم أرجـع إلـى جـامعتي، توسـعت تجـارتي وأصـبحت تـاجرًا كبيـرًا وأنـا لـم أتجـاوز الثامنـة والعشرين من عمري...

فـي تلـك الأيـام ألحّـت أمـي علـي كثيـرًا لأجـل الـزواج، وطلبـت أن أمنحهـا فرحـة رؤيـة أبنـائي قبـل وفاتهـا، وفـي النهايـة قبلـت، ولكـن لـيس لأجـل أمـي بـل لأنـي حسـبت

المسألة من جميع جوانبها، فوجدت أن الصواب هو زواجي في هذا السن، وليس بعد سنوات ...

تزوجت من فتاة مجبولة بكتلة من المشاعر والعواطف والأحاسيس، كنت أحسب كل شيء في علاقاتنا، وهي لا تعرف الحسابات شيء، بل تتدفق مشاعرها نحوي بلا توقف، كنت قادراً على رؤية وفهم التدفق الهائل للعواطف نحوي، والتعلق الشديد بي، ولكنني غير قادر على الاحساس بهذا كلِّه، قالت لي يوماً :

* أنا يا موسى كأي إمرأة في الدنيا أكثر ما ينصب اهتمامي عليه الحب، بل إذا كنت تريد أن تعرف الحقيقة، أنا ليس لي عمل في الحياة سوى الحب، وأغلب النساء مثلي، أنا يا موسى لم أشعر منذ رأيتك بمشاعرك نحوي، أنت حسن العشرة ولكنك بلا قلب، أنت تمتلك عقل عملاق وتمتلك أيضًا قلب جاف لاينبع

منه شيء، أرجوك أجبني ألا تشعر بينابيع المشاعر التي تتفجر في قلبي نحوك؟ أرجوك أجبني ؟

أنا مصرة أن تجيبني؟ ...

* بالطبع أشعر وأحسّ بك، ولكني لا أجيد التعبير عن ذلك...

لقد كذبت عليها فأنا في الحقيقة تفهمت ما تقول وأدركه جيدًا، ولكني لم أشعر به على الإطلاق...

لقد مضت الخمس سنوات الأولى ولم نرزق بمولود، وكان السبب هو زوجتي، أخذ موضوع الانجاب يسيطر على تفكيرها ومشاعرها بل حتى على حديثها، وأنا لا أشعر بأي شيء غير طبيعي، وأحاول اقناعها أن الزمن أمامنا طويل، ولا داعي للعجلة...

بعد السنوات الخمس وعلى حين غرة اكتشفنا وجود حمل في الشهر الثالث، فصبت كلّ مشاعرها واهتمامها

على الجنين وخصوصاً عندما أخبرها الأطباء أن هذا الحمل قد يكون الحمل الأول وربما الأخير؛ لمشاكل كبيرة عندها في المبيض...

وجاءنا إسماعيل وبدأ يكبر سنة وراء سنة، حتى دخل المدرسة وكانت فرحة أمه لا توصف، والحقيقة أنا كنت مبتسمًا ومرتاحًا ولكني لم أكن فرحًا إلا قليلاً جدًا؛ ففي تلك الأيام لم أذق الفرح في حياتي إلا قطرات صغيرة وقليلة، رغم أن الفرح كان موجوداً بوفرة وبكثرة في حياتي، وفي أول إجازة اسبوعية لإسماعيل، ذهبنا لزيارة أخي الكبير، وكان إسماعيل لا يقبل إلا أن يمسك بيدي وبعد أن انتهينا من شراء هدية لأخي الكبير رأى إسماعيل على الجهة المقابلة من الشارع كرة حمراء مع أن عنده كرات كثيرة وحمراء ايضاً

وفجأة صرخت أم إسماعيل بعنف شديد على إسماعيل حيث مشى لقطع الشارع وكان من السهل ارجاعه لو أسرعت المشي ولكني أفتقد الحرارة في ذاتي ومشيت بخطوات بطيئة عاجلتها سيارة مسرعة أخذت معها إسماعيل بسرعة إلى قبرٍ صغير، وأخذ إسماعيل معه قسمًا كبيرًا من صبر أمه وتوازنها ومشاعرها الجياشة وابتساماتها، وأخذ أكثر من ذلك حبها لي، فأنا في نظرها السبب في وفاة إسماعيل، مشاعري الشحيحة هي التي قتلت إسماعيل، عواطفي الضئيلة هي من دفن إسماعيل، قلبي الذي يحسب مشاعره على قلتها بالورقة والقلم هو من سفك دم إسماعيل...

لن أنسى كلماتها عندما حاولت ارجاعها إلى بيتها وهي في بيت أهلها:

* أنت لست إنسانًا، من جريمة أن يكون لأمثالك أسرة؛ لأن نهايتها هي القتل برصاص قلبك المعوق...

– أنا يا أم إسماعيل لست بهذا السوء فأنا لم أتمنى الشّر لأحد في حياتي، لم أحقد على بشر قط، لم أحسد أحدًا طوال عمري، أقسم بالله لم أكره أحد على وجه الأرض، لم أتكبر لا في السر ولا في العلن.

قالت وعيونها مليئة بالغضب:

*** أنت بالفعل لم تتمنى الشر لأحد ولكنك في نفس الوقت لم تتمنى الخير لأي أحد، أنت لم تكره بشرًا ولكنك أيضًا لم تحب إنسانًا.**

صرخت بأعلى صوتها :

*** اخرج أيها المجرم لا أريد أن أراك، لا أريد أن أرى وجهك المشلول، أخرج يا مجرم لا أريد أن أحس بقلبك البور ... اخرج ...اخرج ...اخرج**

وخرجت هائمًا على وجهي لا أسمع إلا كلمات أم إسماعيل ولا أرى إلا صورتها وهي تصرخ بشكل هستيري، وقلت في نفسي:

* هل وجهي مشلول حقاً هل قلبي صحراء قاحلة، ليس فيها نبات ولا حتى أشواك...

وخلال أيام عرفت مشكلتي وحسبتها بدقة، فمشكلتي أني شحيح المشاعر، ينابيع قلبي لاتقدر أن تروين فكيف بالعطاش ممن حولي، وحسبت جيدًا كيف أخرج من قلبي العواطف والمشاعر والأحاسيس لأرتوي منها وأروي من حولي، فإذا كانت ينابيع قلبي لا يخرج منها إلا القليل القليل؛ فإنه علي أن أحفر أبارًا إرتوازية في أعماق قلبي، ورغم حساباتي الدقيقة؛ لم أحسن التعامل هذه المرة مع القلب، مع أني أحترف التعامل مع العقل، وظل سؤال يحيرني، بأي بئر أبدأ... بالحنان أم بالغضب أم بالتعاطف، أم بالحسرة أم بالامتنان، أم بالخوف أم بالأمان

وفي نهاية الحسابات الطويلة، قد قررت أن أبدأ بالحب لأنه سيد العواطف، ثم قلت في نفسي بمن أبتدئ أول دفعة من مشاعر الحب في قلبي، وبحسابات سريع قررت أن أبدها مع الله عز وجل، وبدأت أحفر بئر الحب في قلبي؛ لأستطيع الإحساس بحب الله جلَّ جلاله، وكانت أدواتي في الحفر قراءة القرآن ودعاء الرحمن ومناجاة المنان ...

لن أنسى أول إحساس شعرته بحب الله، لقد كان دافئًا أشعرني كم كان قلبي باردًا !

كم كان فؤادي قاحلًا خاليًا من المشاعر !

حب الله أخذ يدفئني في هذا البرد القارص، حب الله أخذني إلى حياةٍ جميلة لم أعشها من قبل، أصبحت عندما أقرأ كتاب الله أحس أنه يخاطبني ولا أشعر بمن حولي، وأحس الأرض أوسع بكثير من السابق، عندما

أناجي الله أحس بهزة تلسع قلبي فيهتز؛ فتتساقط دموعي قهرًا على تقصير بحقه سبحانه ...

يا الله لحبك مذاق لا يمكن أن يكون له شبيه !

أنا لم أشعر بالحب في حياتي أما اليوم فعواطفي تشتعل عند دعائك، أشعر بحبك بالفعل، وأشعر برغبة جامحة لآقول بصوت مسموع أني أحبك يا الله، كم أنا فخور أني عبدك كم أنا مطمئن بحبك بأنك ستقف معي في الكبوات والحسرات والانكسارات...

ومضيت إلى أم إسماعيل وأنا أناجي الله عز وجل:

* اللهم إني أحبك وأحب من يحبك وأحب العمل الذي يقربني إلى حبك...

ولمـا جلسـت أمامهـا وكانهـا شـعرت بكـل مـا بـداخلي وأخـذت تنظـر إلـي مندهشـة قبـل أن أتكلـم... هـل يعقـل أن الحب يظهر على الوجوه والجوارح بهذا الوضوح ؟

قلت لها:

* أنـا اليـوم جئتـك لغايـة أخـرى غيـر رجوعـك إلـى البيـت أريـدك أن تجيبينـي بمـاذا أشـعر بالضـبط، فأنـت خبيـرة بالعواطف ؟

أنـا يـا أم إسـماعيل أشـعر أنـي متعلـق بشـدة بـالله عـز وجـل وهـذا التعلـق مشـحون بمشـاعر تطغـى علـى تفكيـري وكـل كيـاني، هنـاك رغبـة تـدفعني لأكـون مـع الله عـز وجـل، بقـراءة كتابـه ودوام ذكـره، شـعورٌ يملئنـي طاقـة، أمتلـك قـوة لـم تكـن موجـودة فـي داخلـي، عـواطفي تشـعرني بشـمس تشـرق علـى ظلمات نفسي... ما هذا الشعور يا أم إسماعيل ؟

قالت وهي متعجبة :

* إنه الحب بكل تاكيد... أتدري يا موسى كل ما ذكرته وزد عليه الكثير كنت أشعره تجاهك...

– لكن الله يقول (والذين امنوا أشد حباً لله) أريدك أن تحبي الله اولاً... ما رأيك ان أعلمك شدة حب الله وتعلمني كيف أحبك كما ترغبين أن أحبك ؟

ومضت معي أم أسماعيل إلى البيت وأستطيع أن أقول وأنا محترف في الحسابات أن الليلة التي دخلت بها أم إسماعيل البيت حملت بها إسماعيل الآخر، وبعد إسماعيل رزقنا الله بولدين وثلاث بنات، يبدو أن دوائي ودواء أم إسماعيل هو حب الله عز وجل...

*** النهاية ***

زياد غزال فريحات

قصة

مَشاعِرُ الْعَظَمَةِ

زياد غزال فريحات

كـان صـلاح الـدين فـي العشـرينات مـن عمـره، وقـد فـرض احترامـه علـى كـل مـن حولـه، مهنـدس لـه مكتبـه الخـاص وقـد أقامـه بمسـاعدة والـده، يلقـي خطبـة الجمعـة فـي مسـجد كبيـر فـي المنطقـة والحـق أنـه خطيـب مفـوه، وشـاءت الظـروف أن يكـون بينـه وبـين المقـاول عـدنان علاقـة عمـل، فانجـذب لـه عـدنان شـيئاً فشـيئاً، وفـي كـل يـوم جمعـة يتصـل عدنان ويطلب منه أن يذهب معه لحضور الخطبة...

ومـع الأيـام أخـذ عـدنان يشـعر شـيئاً فشـيئاً أن المهنـدس يـرى نفسـه شـيئًا كبيـرًا، وأنـه صـاحب قـدرات ضـخمة، ولا شـيء يمكـن أن يقـف فـي وجـه، وكـل ذلـك لـم يـزعج عـدنان بـل الـذي أزعجـه وآلمـه هـو ادراكـه أن المهنـدس يشـعر مـن صـميم قلبـه أن الأخـرين صـغار وضـعاف ويغمـرهم العجـز، فـي تلـك اللحظـة قـرر عـدنان الابتعـاد شـيئاً فشـيئاً عـن صـديقه الـذي أحبـه فعـلاً بـلا عتـاب، رغـم أن المهنـدس رجـل

صالح لكنه لايعي أن مشاعر العظمة والإكبار والتبجيل والانبهار لديه محصورة في ذاته، وقد قرّر في لحظات الابتعاد بسلام...

تعرض والد المهندس لحادث سير، فقام عدنان بزيارته في المستشفى والتقى بأعمام صلاح وسمع منهم وهم تملؤهم مشاعر الإكبار والاعجاب عن حياة أخيهم الكبير، والشخص الوحيد الذي يخلو من تلك المشاعر هو المهندس، وفي أثناء ذلك عرض برنامج على قناة فضائية عن الصين وانجازاتها العظيمة، فأذهل الجميع مما سمع إلا المهندس، حيث لم تقطر من قلبه نقطة من مشاعر العظمة والاعجاب والإكبار مما رأى...

أضحى عدنان يبتعد عن صديقه شيئًا فشيئًا، وتحولت العلاقة بينهما إلى علاقة عمل فقط، وفي تلك الفترة تقدم المهندس لفتاة وعقد قرانه عليها وأخذ ينتظر الزفاف لوقت ترتيب أوضاعه، وخطيبته جميلة جدًا، وصاحبة

ذكاء وفطنة، لكنها ليست متدينة بالقدر الكافي، رغم أن أهلها من أهل المساجد والالتزام، ورغم أن الفتاة بما فيها من مزايا تبهر أي رجل إلا أنه لم يشعر بأي شيء من ذلك، وأخذ يزورها كل أسبوعين مرة بمدة لا تزيد عن ساعتين، وأغلب الساعتين يجلس معهما أحد من أهلها، وبعد خمسة أشهر من الخطبة وبعد أن تعلق المهندس بخطيبته وبدأ يشعر بحبها، اتصلت به خطيبته وطلبت منه أن تراه خارج البيت مع أن أهلها لا يسمحون بذلك لكنه رفض فقالت له :

* يجب أن نلتقي فالمسألة حياة أو موت...

– عندي بعض الأعمال سآتي للبيت عندكم بعد ساعتين.

وبعد نصف ساعة فقط تفاجأ المهندس بخطيبته في وسط مكتبه وتصادف وجود عدنان بهر عدنان بجمالها وقوامها، وقال لها:

* مرحبًا أنت خطيبة المهندس ؟

ثم نظر إليهما وقال لهما :

* يجب أن أذهب... المكان هنا ضيق، الغرفة صغيرة

فقال له المهندس بحزم :

* يجب أن تبقى إنني أريدك في أمر هام.

خرج عدنان وجلس في المساحة الصغيرة أمام غرفة المكتب، طلبت الخطيبة الخروج لأن الحديث في الخارج سيكون أفضل، لكن المهندس رفض بشدة لأنه يعلم أن أهلها يزعجهم ذلك، فاضطرت الخطيبة أن تصارحه داخل المكتب،

وبعد مقدمة في غاية الأدب أخبرته أنها أجبرت على القبول به، وأنها على علاقة بشاب آخر، وقد تقدم لخطبتها ولكن أهلها رفضوا؛ لأنه شاب غير ملتزم فهو لا يصلي وهو غير ملتزم بدينه حقيقةً، والمهندس يعيش

أقسى لحظات حياته وهو صامت تتفجر الصدمات في أعماقه، ولكنه يظهر أمامها بغير المكترث بشيء، وطلبت منه أن يطلقها ويتركها تعيش حياتها كما تحب، وختمت قولها :

* صدقني يا صلاح عندما أجبروني أهلي على القبول بك، قد قررت أن أصارحك كما فعلت اليوم ولكني كنت خائفة أن تكون رجل يستطيع أن يجذبني إليه، ويجعلني أحبه، لكن الحمد لله كنت رجلاً يمكن نسيانه بسهوله، أكثر شيء أدهشني هو أني ألمحت لك بكل الوسائل والطرق أني بعيدة عنك ولكنك لم تشعر بذلك على الإطلاق ...

وخلعت خاتم الخطوبة ووضعته على المكتب وغادرت، نظر إليها عدنان الذي سمع كل كلمة رغمًا عنه لضيق المكان، ورغم أن عدنان الذي يعرف العيب الكبير

لصـــديقه، بأنـــه لا يشـــعر دون وعـــي بمشـــاعر العظمـــة إلا بنفســه إلا أنــه يعلــم أيضًــا أن صــديقه رجــل صــالح ومتــدين حقيقــة، وهــو الآن يحتــرق ومــا حــدث معــه فــوق طاقتــه، وأثقـــل مـــن تحملـــه، غـــادر عـــدنان إلـــى بيتـــه دون رؤيـــة المهنــدس وهــو يشــعر بعظــم مصــاب صــديقه، لقــد ضــربته هــذه الفتــاة بمقتلــه بمشــاعر العظمــة لذاتــه وقدراتــه ومســتقبله وطموحاته...

مضــى المهنــدس إلــى بيتــه ولــم يخــرج منــه إطلاقًــا رافضًــا رؤيــة أحــد، وبعــد أســبوعين دخــل عــدنان علــى صــديقه المتماســك رغــم جراحــه وكســور خــاطره، وتحــدث عــدنان وصــديقه لا يــتكلم، وختــم عــدنان زيارتــه بوضــع فــيلم وثــائقي عــن الكــون فـــي جهـــاز الحاســـوب وغـــادر، وأخـــذ المهنـــدس يشـــاهد الكــون العظــيم فــي لحظــة فارقــة مــن حياتــه وعواطفــه، وبقــي يشــاهد وقلبــه يشــعر لأول مــرة فــي حياتــه بمشــاعر العظمــة

لشيء غير ذاته، إنها مشاعر العظمة لله عز وجل وختم الفيلم بأيات كريمة ابتدأت بآية الكرسي ولما وصل مسامعه قول الله تعالى (وسع كرسيه السموات والأرض) أحس بصغر ذاته لأول مرة في حياته، وأخذ يستمع إلى الأيات ومشاعر العظمة تجاه الله تكبر، ومشاعر الإحساس بصغر ذاته وعجزه تتوالد...

(إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)

(كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَام)

(وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ)

(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ)

(تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الأَرْضِ أَلا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ)

عند هذه الأية بكى من إحساسه بعظمة الله، هذا ما قاله لعدنان فيما بعد ...

* بكيت إحساسا بعظمة الله... وهي لأول مرة في حياتي أشعر أن لا حدود لعظمة الله... لقد كنت أؤمن بذلك ولكني لم أكن أشعر بالحد الأدنى منه،... شعرت بأن الله كبير بلا إنتهاء، وأن غيره جل جلاله صغير وشعرت بأن الله لا يمكن مقاومته، لقد أحسست بكل عواطفي أني عاجز عجزًا كاملاً أمام عظمة الله على الإحساس بعظمة الله...

لقد كرر لعدنان كثيراً قوله:

*– إن الله خلق للبشر مشاعر يحسون بها عظمة الأشياء ولكن تلك المشاعر عندما تحس بعظمة الله تعطيك قوة غريبة، ووضوح بحجم الأشياء فلا ترى شيئاً أكبر من حجمه...

ومضت الأيام وكبر معها إحساس المهندس بعظمة الله عز وجل وأصبح يردد في خطبه:

* إن الأمة بحاجة ماسة ليكبر إحساسها بعظمة الله حتى لا تهزم نفسيًا حتى لا تكبر مهابة الأعداء في قلبها، حتى تستطيع أن تقاوم قوى الأعداء، لإنها مع إحساسها بعظمة الله ستشعر بصغر الجبارين، وضعفهم فتسير وتتجاوزهم.

كم هو سلاح عظيم الإحساس بعظمة الله !

*** النهاية ***

زياد غزال فريحات

قصة

أوجاعُ سدادِ الدين

زياد غزال فريحات

كنت طالبةً في الثانوية العامة وكنت في طريقي لحضور حفلة في بيت إحدى صديقاتي، ولما وصلت المكان طلبت من سائق (التكسي) انزالي لكنه لم يسمعني فكررت عليه الطلب بصوت أعلى، فتوقف على بعد مئة متر من البيت، فعندما نزلت لمحت سهى من بعيد ترن جرس البيت، ففتح الباب أخو زميلتنا صاحبة الحفلة، وهو شاب يدرس في الجامعة اسمه ماجد، وتحدث مع سهى قليلاً ثم دخلت إلى البيت، وبقي ماجد واقفًا أمام البيت يجري مكالمةً هاتفية، ولما أصبحت على بعد أمتار من البيت وصلت مجموعة من زميلاتي، فأخذت أصافحهن وأنا ألمح بعيني الشاب وهو يدخل إلى البيت، قرعنا الجرس لكن لم يفتح الباب أحد، ثم قرعنا الجرس مرة أخرى فأطل علينا الشاب من السطح، ولم يلمحه سواي، ثم قرعنا الجرس للمرة الثالثة حتى فتح الشاب الباب وما أن فتح الباب حتى سمعنا صوت زميلتنا صاحبة البيت من الخلف تنادينا، وهي تحمل مجموعة

كبيرة من الأغراض، وتطلب منا أن نساعدها في الحمل، فحملنا معها واعتذرت منا قائلة:

* أنا أسفة لقد تأخرت رغمًا عني، المشكلة أنه لا وجود لأحد من أهلي في البيت، الجميع غادر منذ ساعات لكي نأخذ راحتنا...

قالت لها إحدى الزميلات :

* يوجد أخوك هو من فتح لنا الباب !؟

– نعم لقد رأيته، غريب أنه ما زال في البيت !

وما أن دخلنا حتى تفاجأ الجميع باستثنائي بوجود سهى في الداخل...

فخاطبتها إحدى الزميلات :

* منذ متى وأنت هنا ؟

– منذ دقائق فقط ...

* دقائق أم ساعات ؟

وهي تقصد وجودها مع الشاب داخل البيت لوحدهما، ملقية عليها سيل من الشكوك والاتهامات الجارحة والخادشة لشرفها وعفتها، وقفت سهى عاجزة عن الكلام وعينيها تتفجر قهرًا حابسة سيلًا من الدمعات، ثم غادرت الحفلة قبل بدايتها...

وفي اليوم التالي غابت سهى عن المدرسة، فتهامست بعض الزميلات أن سهى على علاقة مع ماجد، وأن العلاقة وصلت إلى حد النوم في السرير، واستشهدن بيوم الحفلة، وأنا أُصدق قولهن مع أني رأيت بعني براءة سهى ورغم أنها كانت من صديقاتي المقربات إلا أنني لم أعلن براءتها لكل المتهامسات...

سمعت سهى بكلام الفتيات؛ لكنها لم تأخذه على محمل الجد، وفي يوم حصل سوء تفاهم بيني وبين سهى فقلت لها ونحن لوحدنا :

* تنامين مع ماجد في السرير ثم تأتيني لتعلميني الأدب!!

– أنت تعلمين أني لا يمكن أن أفعل ما هو أقل من ذلك بكثير... أنا لست على علاقة بأي شاب...

* نحن رأينا بأعيننا كل شيء...

في تلك اللحظة سمعت صوت كسر عيونها، ورأيتها تفقد إحساسها بالواقع، تركتني وغادرت، مع أني أنا الشاهدة الوحيدة على صدقها وافتراء الفتيات...

بعد الثانوية العامة نجحت كل صديقاتنا ودخل أغلبنا الجامعة الأردنية بنظام الموازي، أما سهى فقد قررت أن تذهب بعيدًا إلى جامعة الطفيلة رغم أن معدلها يأهلها لدخول الجامعة الأردنية بسهولة بنظام التنافس، لقد هجرتنا بهدوء ولم تزر واحدة منا بعد يوم الحفلة الذي غير الكثير بعلاقتها معنا...

أمضيت حياتي الجامعيّ وأنا في غاية السرور، وكانت السنة الثالثة قمة سعادتي حيث تعرفت على شاب يدرس الماجستير اسمه أحمد، وتواعدنا على الزواج ولم يبق إلا أن يأتي بأهله ليخطبني، وبالفعل تم تحديد موعد بعد ثلاثة أيام من ذلك اليوم الذي سددت فيه رغماً عني دين سهى، فقد كنت أسير مع خطيبي المنتظر حتى التقينا بصديق له هو في نفس الوقت زميلي في القسم، وليس بيني وبينه أي نوع من كلام، ومن غير سابق إنذار قال لي وكأنه يعرفني:

* هذا أفضل لك من الدكتو عمر، ولكن أنا أنصحك أن تتمسكي بأحمد لأنه شاب رائع، ولا تفعلي به مثلما فعلت بالدكتور عمر...

– أنا لم أتحدث مع الدكتور عمر إلا في قاعة المحاضرات !

* قاعة المحاضرات، كل الكراسي في مكتبه تشهد عليك خصوصًا بعد إغلاق الباب بالمفتاح... سلام يا يا أحمد...

قلت لأحمد :

* صديقك هذا مجنون... لولا أنه صديقك لضربته بالحذاء على وجهه...

لكن أحمد بقي صامتًا ! وطلب المغادرة بحجة أن عليه موعد ضروري، وجاء اليوم التالي، ولم أر احمد وكلما أتصل به لايجيب، وجاء موعد لقاء أهله مع أهلي، وأخذ أهلي يستعدون لذلك، وأنا أحاول الاتصال بأحمد ولكن دون جدوى، فأخبرت أهلي أن أحمد اعتذر عن الموعد بسبب ظرف خاص عند أهله، ولكني بقيت على أمل أن يأتي في يوم الموعد، وجاء يوم الموعد ولم يأت أحمد ودخلت إلى غرفتي وأن أسمع صوت تكسير قلبي وصورة سهى أمامي لا تفارقني، أسمع صوت تكسير عيونها، وأنا

أجلس محطمة أسدد دينها أضعاف مضاعفة، ومنذ ذلك الحين انقطعت علاقتي بأحمد، كان يراني في الجامعة ويمشي كأنه لا يعرفني، وتخرجت من الجامعة مكسورة القلب والخاطر...

بعد ثلاث سنوات من تخرجي، وأنا راكبة في باص المدرسة التي أعمل بها سمعت من المذياع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(لا يرمي رجل رجلاً بالفسوق ولا يرميه بالكفر إلا ارتدت عليه ما لم يكن صاحبه كذلك)، لقد قصمني هذا الحديث ونشرني نصفين وبقيت أسمعه، وصورة سهى وهي تتكسر عيونها ماثلة أمامي، وعندما يتردد قوله صلى الله عليه وسلم (إلا ارتدت عليه) أرى صورتي وأنا أبكي في غرفتي، في يوم موعد خطبتي من أحمد، وصوت تمزق قلبي يكاد يفجّر أذاني...

إنها سنة الله في الحياة إذن، فالاتهام بالباطل دين سوف يدفعه المفتري أضعافًا مضاعفة، في تلك اللحظات أحسست بحاجة إلى أن أناجي الله، وهي المرة الوحيدة التي أحس بها هذا الإحساس، لقد ناجيت الله وعاهدته أن لا أتهم بالباطل أي شخص مهما كانت الظروف...

بعد ذلك اليوم بسنتين تزوجت من رجلٍ هو في الحقيقة أفضل بكثير من أحمد، ومع أني أمضيت سنوات من زواجي باستقرار، لكن ما زلت أخاف أن يسمع زوجي بما افتراه علي صديق أحمد، يبدو أن دين سهى ضخم جداً...

*** النهاية ***

زياد غزال فريحات

قصة

حبال المشانق المنسوجة من الحسد

زياد غزال فريحات

فـي ليلـة مـاطرة والأب نـائم فـي بيـت ابنـه صـاحب الثلاثـة أولاد، اسـتيقظ الأبـن مخنوقًـا ثـم خـرج مـن الغرفـة محـاولاً التـنفس، ولكـن دون جـدوى فـذهب علـى غرفـة أبيـه وزوجتـه وراءه تبكـي اسـتيقظ الأب مفزوعًـا فهـي أول مـرة يـرى ابنـه بهـذه الحـال، لكـن الابـن تـرك أبـاه وذهـب وأيقـظ الأولاد، فاسـتيقظوا مفـزوعين، فهرعـت الزوجـة إلـى الأب ترجـوه باستدعاء الدفاع المدني لكن الأب قال بثقة :

* اتركيـه... أقـل مـن دقيقـة وسـيهدأ لوحـده ويرجـع كمـا كان...مسكين يا هشام ...مسكين

وبالفعـل بعـد أقـل مـن دقيقـة هـدأ هشـام وزوجتـه وأولاده حولـه يبكـون بخـوف واضـطراب، طلـب الأب أن يبقـى مـع ابنه لوحدهما وخاطب الزوجة :

* أنـا أوكـد لـك أن الموضـوع قـد انتهـى هـذه الليلة...إذهبي...أنا وهو في حاجة لنكون معاً لوحدنا...

ذهبت الزوجة وتظاهرت بالنوم في غرفة الأبناء، ذهب الأب مع ابنه إلى غرفة بعيدة عن غرفة الأبناء حتى لا تسمع الزوجة كلامهما قال الأب لابنه :

* أريد أن تسمعني فقط وبعدها افعل ما تراه مناسباً... وأنا في سنك تقريباً كان يحدث معي ما يحدث معك الآن، وما يحدث مع زوجتك كان يحدث مع أمك وما يحدث مع أبنائك كان يحدث مع إخوانك الكبار، وكنت أنت يا هشام ابن ثلاث سنوات لا تتذكر تلك الليالي...

إنَّ السبب في ما كان يحدث معي هو الحسد، لقد خلقت بطبيعتي شخصًا حسودًا، لقد كان هناك أشخاص يستفزني مجرد رؤية النعمة عليهم، هم بعض معارفي من الأطباء مع أني كنت طبيبًا ناجحًا، لكن عندما ازداد شعوري أن هؤلاء الأطباء يتعالون علي وأنا مضطر لمجاورتهم ومخالطتهم، كان يحدث معي بالضبط ما حدث معك الليلة، ولكن من لطف الله بي أني كنت

أعـرف دائـي، فقـررت أن أعـالج نفسـي، أكثـر مـا دفعنـي لـذلك لـيس الـتخلص مـن حـالات الإختنـاق، بـل لأجـل أن لا أراك وأمـك وأخوتـك فـي نفـس المشـهد الـذي رأيتـه مـع زوجتـك وأولادك الليلـة، فهـداني الله بعـد قـراءة لمجموعـة مـن أحاديـث رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم أن الـذي يـرد الحسد هو الدعاء بالبركة لصاحب النعمة...

لكـن المشـكلة أنـي لـم أسـتطع أن أدعـو بالبركـة لهـولاء الأطبـاء، أو حتـى لأي شـخص أخشـى بسـبب نعمتـه أن يتعـالى علـي، وبـدأت أفكـر بطريقـة تجعلنـي أمتلـك القـدرة علـى الـدعاء لهـؤلاء بالبركـة، فهـداني الله بـأن أدعـو لأشـخاص لا اعـرفهم عنـدما أرى نعمـة ظـاهرة لهـم، ثـم أدعـو لأشـخاص أعـرفهم ولكـن لا تسـتفزني الـنعم الظـاهرة علـيهم، ثـم بـدأت أدعـو بالبركـة للأشـخاص الـذين تسـتفزني الـنعم الظـاهرة علـيهم، ثـم بـدأت أقـرأ فـي الصـباح والمسـاء

وعند النوم سورة الفلق، وعندما أصل لقوله تعالى (من شر حاسد إذا حسد) أكررها كثيرًا فهذه الآية لها أثر على قلب الحاسد عظيم، ومن ذاق عرف يا هشام...

صدقني يا هشام في بدايات الدعاء لهم كنت أدعو لهم بالبركة بلساني وقلبي يتمنى زوال النعمة عنهم، ولكني كنت عازمًا على التخلص من حالة الإختناق لأجلك أنت وإخوانك وأمك، فقد كنت أتعذب وأحترق ولا أبالي، لكن لما وصلت حبال مشانق الحسد تلتف حول أعناقكم بسببي؛ كان لا بد من التحرك للعلاج ...

لقد بقيت يا هشام أكثر من سنة تقريبًا أدعو للأطباء الذي تستفزني النعم عليهم بالبركة بلساني وقلبي يتمنى زوال النعمة عنهم، ولكن بعد السنة بدأت أشعر أن شدة تمني

زوال النعمة عنهم تخف شيئاً فشيئاً من قلبي، ولكن عندما يتعالون علي أو أشعر أنهم يتعالون علي أحس أني رجعت إلى المربع الأول، ولكن عندما أتذكركم أنت وإخوانك وأمك تبكون حولي خائفين، أندفع للاستمرار بالمحاولة حتى وصلت لدرجة أني أدعو لأي شخص بالبركة عندما أرى نعمة عليه بلساني وقلبي حتى الأطباء الذين كان يستفزني مجرد رؤية النعمة عليهم...

هشام الحسد ماكنة تنتج الهم والحزن والاعتراض على أقدار الله، ليس أمامك إلا أن تفعل ما فعلته يا هشام ومن اليوم، لا تتخيل يا هشام أثر الحسد على حياتك... على عقلك على قلبك على بصرك وسمعك... إنه كمرض السرطان يا هشام صدقني بل هو أشد من مرض

الســـرطان لأن الســـرطان يـــدمر حياتـــك فـــي الـــدنيا، أمـــا الحسد فإنه يدمر حياتك في الدنيا وحياتك في الاخرة...

***** النهاية *****

زياد غزال فريحات

قصة

طلقات الاكتئاب التي لا تتوقف

زياد غزال فريحات

انتهى الحفل واستلمت جائزتي على حفظ ثلاثة أجزاء من القرآن الكريم، ورجعت إلى البيت مع أخي الكبير هشام الذي يكبرني بست سنوات.

كنت في غاية السرور والفرح ولما وصلنا البيت هرعت إلى أمي لترى جائزتي، ولكنها تجهمت في وجهي، ونهضت وأشارت إلى أخي هشام ليلحق بها إلى غرفتها، ولما دخل هشام أغلقت الباب بالمفتاح المعلق دائماً في رقبتها، وبعد ما يقارب نصف ساعة خرج هشام والدموع في عينيه.

سألته بدهشه :

* ماذا قالت لك أمي؟

لماذا أنت حزين؟

لماذا الدموع في عينيك؟

لماذاااااا أنت صامت ؟

– من الخطأ ذهابنا إلى الحفل ...

*** لــماذا؟**

– لأني طالب ثانوية عامة، والأولى الاهتمام بدروسي...

وبعد ما يقارب شهر من ذلك جاء أخي صبري ابن الصف الخامس الذي يصغرني بسنة واحدة إلى البيت يبكي وآثار الضرب الشديد ظاهرة على وجهه.

قال له هشام بغضب :

من فعل بك ذلك ؟

فأخبره عن رجل في الحي له محل في السوق

سأله هشام عن السبب، فأخبره صبري أنه ضرب أخاه الصغير الذي يدرس معه في نفس الصف...

حمل هشام ماسورة من الحديد واتجه نحو محل الرجل وأنا وصبري نركض خلفه ولما وصل، وجد الرجل داخل محله، فصرخ هشام مناديًا له من خارج المحل، خرج الرجل من باب المحل، فسأله هشام عن سبب ضرب صبري فأجابه :

* أحببت أن أقوم بتربيته لأنه لم يجد من يربيه .

أجابه هشام بغضب وحزم وشجاعة :

* وأنا الآن سأقوم بتربيتك...

قال الرجل باستعلاء :

* اذهب يا ولد حتى لا أقتلك كما قُتل أبوك...

وأخذ هشام بغضب وتحدي يحطم الزجاج ويصرخ :

* لا تذكر والدي يا حقير ... لا تذكر والدي يا نذل

وجاء أهل السوق وأخذوا هشام إلى البيت، والرجل لم يفعل شيئًا رغم أن هشام قد حطم زجاج محله...

في الليل بعد أن نامت أمي في غرفتها سألت هشام :

* هل أبي مات مقتولاً... ومن قتله ؟

– أبوك مات في حادث سير ...دعك من كلام ذلك الوسخ...

نمت بالقرب من هشام وأنا أشعر بالأمان، فهشام بالنسبة لنا أنا وصبري؛ القوة التي نلجأ إليها عندما يتهددنا الخطر هو مصدر الأمان والطمأنينة لنا، هو القدوة التي نتشرب منها بوعي ودون وعي...

نجح أخي هشام في الثانوية العامة، وحصل على علامة مرتفعة تأهله لدخول كلية الهندسة، وجاء صديق له إلى البيت وأقسم أن يقيم حفلة في المساء بمناسبة نجاح

هشام ولما غادر صديق أخي، أشارت أمي إلى هشام ليتبعها إلى غرفتها، وما أن دخل حتى أغلقت الباب بالمفتاح، وبعد ما يقارب نصف ساعة خرج أخي الكبير والدموع في عينيه، وقال بحزن مكبوت :

* لا داعي للاحتفال... إنه مجرد نجاح في الثانوية... إن أمي يزعجها الصوت العالي... إنها تكره الصخب...

سألته وكلي دهشة وحيرة :

* لماذا أنت حزين ؟

لماذا الدموع في عينيك؟

لماذا يحدث هذا في أفراحنا بالذات ؟

ما الذي تخفيه عنا أنت وأمي أرجووووووك أخبرني ؟

– لا شيء... لا تتعب عقلك...كل ما في الأمر أني لا أريد أن أزعج أمك...

لـم يـدخل هشـام الجامعـة باختيـاره، وعنـدما أسـاله لمـاذا لا تدخل الجامعة ؟ يقول لي نفس الجملة :

* سيأتي يوم وأخبرك...

والغريـب أن أمـي عنـدما تسـمعني أحـاول إقنـاع هشـام بدخول الجامعة تصرخ في وجهي :

* لا أريـد أن يـدخل هشـام الجامعـة... هشـام لا يحتـاج إلـى الجامعة...

عمـل هشـام فـي شـركة مسـاعد منـدوب مبيعـات، وبعـد سـنة أصـبح منـدوب، وبعـد سـنتين أصـبح يعمـل لحسـابه، وبعـد خمـس سـنوات مـن تخـرج هشـام مـن الثانويـة العامـة، بـدأ هشـام يهمـل عملـه، ويميـل نحـو العزلـة شـيئًا فشـيئًا، ولا يهـتم بملابسـه، وقسـمات الحـزن والكآبـة ترتسـم مـع الأيـام علـى ملامـح وجهـه، وأخـذ يشـكو مـن العجـز، وضـيق الصـدر الذي ينهش كل جسده...

وجاء يوم نجاحي في الثانوية العامة، وحصلت على علامة جيدة، وأخبرت هشام أني سأحصل على منحة دراسية كوني أحفظ القرآن كاملاً، وقلت برجاء شديد :

* دعوني أحتفل بهذه المناسبة، فلن يلقى فيها إلا الأناشيد والشعر ؟

نظرت أمي إلى هشام وأشارت إليه ليتبعها، ولما دخل أغلقت الباب بالمفتاح، وأخذت أسترق النظر من ثقب الباب، فرأيت أمي تخرج من خزانتها كيسًا ثم تخرج من داخل الكيس بدلة مضمخة بالدماء، وقميص مصبوغ بالدماء الحمراء العتيقة، ولما خرج هشام كعادته الدموع محشورة في عينيه، مسكت بقميصه وسألته بصوت عالٍ يقطر حزناً وخوفاً :

* لمن هذه الثياب... هذه ثياب أبي المقتول ...لماذا تحتفظان بها... أخبرني أرجوك لماذا قتل أبي، ومن قتله ؟

انهار هشام وأخذ يبكي دون توقف وهي المرة الوحيدة التي أراه يبكي فيها في حياتي، بقي يبكي ويبكي دون توقف، ثم بقي صامتًا لا يتكلم عدة أيام، ما حيرني في بكاء هشام أنه أشبه ببكاء الطفل الصغير، مليئ بالضعف والهوان، لقد أحسست أني أقف أمام رجل يختلف تمامًا عن أخي هشام الذي عرفته طوال حياتي...

بعد أيام من صمت هشام، دخلت عليه فأخذ يعبر عن مشاعره بصوت متكسر :

* أشعر بضيق شديد، وعجز عن العمل، أرغب في الموت... لا بل أشتاق إليه وأقول لنفسي : لولا أن الانتحار حرام لفعلت ذلك، لا أريد أن أختلط بأحد، أستعرض شريط ذكرياتي فأنتقي منها ما هو مؤلم ومهين وأضعه أمامي ولا أستطيع أن أرى غيره، أشعر أني أسقط في بئرٍ سحيقة لا قاع لها ولا أمل في النجاة... مسكين

أنـا...كيـف لإنسـان أن يتحمـل مـا أنـا فيـه الأن، اتركينـي الأن لا أريد أن أكلّم أحد أو أرى أحد...

بعـد أيـام انتظـرت خـروج أمـي مـن البيـت وذهبـت إلـى غرفتهـا وكسـرت خزانتهـا، وأخرجـت ثيـاب أبـي المصـبوغة بالـدماء ثـم ذهبـت خـارج البيـت ومعـي الكـاز، ووقفـت علـى نافـذة غرفـة هشـام ونـاديتـه فوقـف علـى النافـذة، فاشـعلت النـار فـي ثيـاب أبـي وهشـام صـامت لا يتحـرك، ولمـا لـم تُبـقِ النـار مـن ثياب أبي شيئًا ذهبت إلى هشام وقلت له:

* لقـد نظـرت طـويلاً إلـى الـوراء، وجـاء الوقـت الـذي يجـب فيـه أن تنظـر إلـى الأمـام، أو أن تحـاول النظـر إلـى الأمـام قبل فوات الأوان... قال بيأس :

*لقـد فـات الأوان... لقـد ماتـت رغبتـي فـي العمـل... لا تتعبـي نفسـك فيمـا لا جـدوى منـه... ثيـاب أبـي قبـل أن توقـدي فيهـا النـار، قـد اشـتعلتْ فـي جسـدي و روحـي منـذ سنوات حتى تفحمتُ وأصبحت خرابًا...

– أنت لست خرابًا... أنت هشام الأخ الكبير الذي أخفى سر قتل أبيه عن إخوته حتى لا يحترقوا بنار الحزن، واحترق لوحده، لأنه كبير...

إن فيك من المزايا العظيمة ما يجعلك قادرًا على الخروج من هذه الأزمة أقوى مما كنت، هشام لقد تعلمت من تجربتي في حفظ القرآن الطريق للخروج من أزمتك...

علمت أمي بما فعلت فجن جنونها وأخذت تسبني حتى بح صوتها...ثم أخبرتني قصة قتل أبي... وأن قاتله محكوم بالسجن مدة عشرين سنة، وعندما يخرج علينا أن نأخذ بثأرنا، قلت لها :

*** إن قاتل أبي أخذ جزائه، وماذا سيستفيد أبي من وضع أبنائه الثلاثة في السجن عشرين سنة أخرى، هنالك شيء أفضل من ذلك إن أبي قد انقطع عمله إلا من أبنائه فإذا كنا صالحين فسنكون صدقة جارية له، هذا أفضل لنا جميعاً...**

وبدأنا أنا وهشام الخطوة الأولى لإزالة حزنه وكآبته، وهي التعرف على الله، وأصبح أخي هشام هو قضيتي فلا أفارقه إلا في وقت دراستي في كلية الشريعة، وبدأت أحدثه عن الله وأقول له :

* يا هشام كلما تعرفت على الله أحببته أكثر، وأحدثه كما أخبر الله جل جلاله عن نفسه، أقول له مرارًا أن الله... (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)... فالله لا شبيه له ومثيل لا من قريب ولا من بعيد لا في الواقع ولا في الخيال، فالله يا هشام... (نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)... هو نور على نور (لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْم)... و (وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْض) وهو... (وَلِيُّ الَّذِينَ آَمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّور)... هو الضار وهو النافع... يا هشام... (وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ)...

(هُـوَ اللَّـهُ الْخَـالِقُ الْبَـارِئُ الْمُصَـوِّرُ لَـهُ الْأَسْـمَاءُ الْحُسْـنَى يُسَـبِّحُ لَـهُ مَـا فِـي السَّـمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُـوَ الْعَزِيـزُ الْحَكِـيم) هـو البـاقي... (كـلُّ مَـنْ عَلَيْهَـا فَـانٍ وَيَبْقَـى وَجْـهُ رَبِّـكَ ذُو الْجَـلَالِ وَالْإِكْـرَام) رغـم أنـه خـالق كـل شـيء فقـد كتـب علـى نفسـه الرحمـة... (قُـلْ لِمَـنْ مَـا فِـي السَّـمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُـلْ لِلَّـهِ كَتَـبَ عَلَـى نَفْسِـهِ الرَّحْمَـة) بيـده وحـده الخيـر... (قُـلِ اللَّهُـمَّ مَالِـكَ الْمُلْـكِ تُـؤْتِي الْمُلْـكَ مَـنْ تَشَـاءُ وَتَنْـزِعُ الْمُلْـكَ مِمَّـنْ تَشَـاءُ وَتُعِـزُّ مَـنْ تَشَـاءُ وَتُـذِلُّ مَـنْ تَشَـاءُ بِيَـدِكَ الْخَيْـرُ إِنَّـكَ عَلَـى كُـلِّ شَـيْءٍ قَـدِيرٌ)... هـو صـاحب القـوة بـلا حـدود وصـاحب القـوة بـلا انتهـاء... (إِنَّمَـا أَمْـرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)...

فـي تلـك الأثنـاء بـدأت الثـورة السـورية المباركـة ضـد الطغـاة، فسـمعت مـن يقـول أن مصـلحة المقاومـة مقدمـة علـى الحريـة والكرامـة، فـي تلـك اللحظـات تمثـل أخـي هشـام أمـامي، مـارس المقاومـة هـو وأمـي بطريقـة تـدمير الـذات، ياليـت

هؤلاء ذاقوا ولو شيئًا قليلاً من العذاب الذي ذاقه أخي هشام ليعلموا أن أساس المقاومة هو بناء الذات، وكيف تبنى الذات من غير حرية وكرامة، فالاستبداد يدمر الذات ويجعلك تتعلم كيف تمارس تدمير ذاتك...

بقيت على ذلك الحال معه ستة أشهر، كنت أحدثه كثيرًا ولكني كنت أسمعه أكثر، تقدم هشام خلال تلك الفترة ولكنه كان يتراجع بسرعة أيضًا، شعرت أن كلماتي عن الله لا تستقر في عقله وقلبه وكثيرًا، سألت نفسي لماذا يحدث ذلك وهشام بعيد عن المعاصي... ومن معاشرتي لهشام أظنه أصبح شخصًا أخر، غير هشام الذي عرفته طوال حياتي، قد أصبحت هنالك موانع تمنعه من معرفة الله أكثر...فهشام يحس بانهيار ذاته، يحس بالفشل ويصف نفسه دومًا بالفاشل، كنت أحاول بشراسه أن أجعله يرى امكانات نجاحه، ولكنه كان عاجزًا عن الرؤية، مشاعره لها نمط واحد، لوم الذات وتجريح النفس

والكآبة والبكاء، ياه ما أقسى أن يعيش شخص بنمط واحد من الانفعالات، فما بالك عندما يكون هذا النمط كله أهات وأنات وأوجاع، أفكاره لها لون واحد فقط هو لون السلبية، ياه ما أبشع هذا اللون...

لقد حاولت عشرات المرات أن أدمجه مع أصدقائي، أو أدفعه لعمل علاقة جديدة، ولكنه كان لا يرى في العلاقات الاجتماعية مكاسب، وإن أصررت عليه دخل العلاقة مع الأخرين بموقف الضعيف الخائف من الرفض والانتقاد والتجاهل، سألته يوماً :

* لماذا تهول عيوبك وتقلل من مزاياك، لماذ تجعل من الخطأ غير الكبير كارثة وتدميراً لسمعتك، لماذا تجعل من النقد العابر جرحاً لكرامتك ؟

لقد كان لهشام لغة واحدة يتكلم بها هي لغة الألام والأحزان والأنين، اه... اه... مشكلة هشام أعقد مما توقعت وأصعب مما تخيلت ظننت أني إذا عرَّفت هشام

بـالله أكثـر ودخـل حـب الله فـي قلبـه فـإن حزنـه سـيذهب وتنتهـي المشـكلة، ولكنـي اكتشـفت أن عقـل هشـام فيـه مـن الأفكـار القاتلـة التـي تـدمر فـي عقلـه كـل مـا يقـال عـن معرفـة الله العلـي العظـيم، وتفاجئـت أن قلـب هشـام فيـه مـن العواطـف والمشـاعر السـامة التـي تطـرد مشـاعر حـب الله والاحسـاس بعظمتـه، فغيـرت طريقتـي مـع هشـام فأصـبحت لا أحدثـه عـن الله بـل أطلـب منـه أن يحـدث نفسـه عـن الله بمـا كنـت أقـول لـه، وأحثـه علـى الـدوام أن يجـري حـوار مـع ذاتـه لـدحض الأفكـار القاتلـة عـن ذاتـه وعـن مـن حولـه، وعـن مـا يحملـه لـه المسـتقبل، وفـي نفـس الوقـت يحـدث نفسـه عن الله عز وجل ليعرف الله أكثر...

بعـد سـنة مـن محـاولات هشـام دحـض الأفكـار المـدمرة عـن ذاتـه وعـن الحيـاة وعـن مـا يحملـه لـه المسـتقبل، بـدأ عقـل هشـام تسـتقر فيـه الكلمـات عـن الله وأخـذ يتعـرف علـى الله أكثـر ومـن يعـرف الله فـلا بـد أن يحبـه، وبـدأ يقـاوم حساسـيته

الزائدة من الرفض والتجاهل من الأخرين؛ لأنه يفعل ذالك لوجه الله الذي أمره أن يسارع إلى مغفرة منه وجنة عرضها السموات والأرض، أصبح يبتسم في وجه من حوله لأن الله يحب ذلك، فأصبح العمل لله ولوجهه الكريم يشكل مكسبًا لعلاقته مع الأخرين، وبقي هشام في كل يوم يحدث نفسه عن الله ويكثر من تلاوة الآيات التي يصف الله فيها نفسه، ويردد الأحاديث التي تتحدث عن الله عز وجل...

من الطريف أن هشام وجد نفسه منجذباً نحو نصرة الثورة السورية، فقد كان عمله لنصرة الثورة السورية علاجًا له، كما كان من أفضل من يتحدث عن كذبة النظام السوري، أن المقاومة مقدمة على الحرية والكرامة، فالمدمر من أعماقه لن يستطيع أن يقاوم بل سيعجز عن مجرد الحركة . *** النهاية***

زياد غزال فريحات

قصة

أنا مسحورةٌ أم مريضة

(قصة قائمة على أحداث حقيقية)

زياد غزال فريحات

بعد وفاة أبي بأيام؛ بدأت أشعر بأن ظهري مكشوف، فالحائط السميك الذي كنت أستند إليه هدم، ولم يعد له أثر، فأنا فتاة في الخامسة والعشرين من عمري، أقلب وجهي في كل الجهات فلا أجد شيء يمكنني الاستناد إليه، فإخواني الثلاثة في بيوتهم مع زوجاتهم تسير حياتهم بصعوبة، يعملون من الصباح حتى المساء لتحصيل قوت عيالهم، يسكن كل منهم في حي مختلف عن الآخر، أما أنا وأختي وأمي فما زلنا في بيتنا المستأجر، ولم يبق لنا إلا تقاعد والدي الذي يتوزع على أجرة البيت والماء والكهرباء وتكاليف دراسة أختي ربى في الجامعة، ولولا عملي في الشركة، لأصبحنا في وضع حرج...

لا يمكن أن أنسى تلك الليالي التي قضيتها بعد انتهاء أيام العزاء، لقد خطفني القلق وأثخن في طعني الخوف من المجهول، وأخذ الخوف من العتمة يكبر في صدري

شيئًا فشيئًا، وازداد ورود الخواطر على رأسي بأن في كل منطقة معتمة هناك من يريد أن يقتلني أو يغتصبني أو يخطفني ويذهب بي إلى المجهول، وبعد عدة أشهر من وفاة والدي بينما كنت وحدي في البيت، أشاهد التلفاز رأيت دخان خرج من التلفاز فأغشي علي فورًا، ولم أستيقظ؛ إلا وأمي ترش الماء على وجهي، فأخبرتهما بما شاهدت، فأكدت أختي كلامي بقولها :

* بالفعل عندما دخلت شاهدت بعض الدخان في البيت

قالت أمي وهي تنظر إلى التلفاز الذي ما زال صوته يملئ الغرفة، وصورته واضحة كما هي :

* أنا لم أشاهد شيئًا، ثم كيف يخرج من التلفاز دخان وهو ما زال يعمل... عبلة عليك أن تقرأي شيئًا من القرآن قبل أن تنامي...

ذهبت إلى غرفة نومي التي تشاركني بها أختي ربى، قالت ربى بشيء من التردد:

* أنا منذ أيام لم أشاهدك تصلين؟

– نعم أنا منذ أسبوع لم أصلي... أصبحت أحس بضيق شديد عندما أقوم إلى الصلاة !

سارت الأيام وأنا على تلك الحال، وأصبح محور حديثي هو مشكلتي مع العتمة والخواطر المرعبة والتلفاز الذي خرج منه الدخان، حتى مع زميلاتي في العمل أصبح هذا الموضوع ياخذ النصيب الأكبر في الحديث، كان حديثي في حقيقته بحث عن حل لمشكلتي التي لا أعرف ما هي بالضبط، ولكني بدأت أسمع أصوات من بعض زميلاتي ونسوة أخوتي أني فتاة مسحورة، وكنت أهزء بشدة من ذلك الكلام، وأقول في نفسي، أن هناك تفسيرات لما

يحدث معي، ومن المؤكد عندي أن السحر ليس من بينها...

في ذات يوم اسيقظت في الصباح أريد الذهاب إلى العمل، فلما خرجت من غرفتي رأيت أمي من الخلف على باب غرفتها تلبس قميص نوم جميل جدًا، لا يتناسب مع سنها، وما أن اقتربت منها خطوات حتى رأيت أمي بلباسها المعتاد تجهز الفطور في المطبخ، فأبرقت نظري نحو المرأة التي تلبس قميص النوم الجميل فلم أرَ شيئًا، فأخذت أبحث عنها في كافة أرجاء الشقة فلم أجد شيئًا، فأخبرت أمي بما شاهدت، فظهر الخوف على وجه أمي وحاولت التقليل من شأن ما حدث...

بعد سنة تقريبًا من وفاة والدي جائني خاطب، وجلس معي في بيتنا وحدث القبول وشرعنا في اجراءات عقد الزواج، وأثناء انتظار نتيجة الفحص الطبي، أحسست بفرحة لا توصف وبقرب متسارع لهذا الشاب، وبعد أن ظهرت النتيجة ايجابية زادت فرحتي ودون وعي بدأت أخبر خطيبي المنتظر بكل ما يحدث معي، وبكل ما أشعر، في تلك اللحظة مددت له يدي ليساعدني في حل مشكلتي التي ما زلت محتارة فيها، وتائهة في وسط الآمها، لقد سمعني باصغاء شديد، وتحاور معي لنصل معًا إلى حل، هذا ما شعرت به في تلك اللحظة، ولكن تلك اللحظات الرائعة، كان أخر لحظات أرى فيها هذا الشاب في حياتي، في اليوم التالي اتصلت أمه بأمي وقالت لها ليس هنالك نصيب بيننا، اتصلت به فرد علي وحاورته أكثر من نصف ساعة ليعطيني سببًا مقنعًا؛ لكن دون جدوى، وفي الدقيقة الأخيرة من المكالمة قال :

*** أنـــا يـــا عبلـــة أبحـــث عـــن الاســـتقرار، وأنـــت فتـــاة لا تســـتطيعين أن توفريـــه لـــي، أنـــا لا أســـتطيع أن أرتـــبط بفتـــاة مسحورة أو عندها مشاكل نفسية...**

أنـا أسـف علـى هـذة الكلمـات، لقـد حاولـت أن لا أجرحـك ولكن أنت من ألح علي بذلك...

لقـد جرحنـي هـذا الشـاب، وقضـي علـى البقيـة الباقيـة مـن تـوازني وتماسـكي، وابتسـاماتي، وأصـبحت وأمسـيت أسـأل نفسي هذا السؤال :

*** هـل أنـا مسـحورة أم مريضـة نفسـيًا، أم مجنونـة، أنـا مـاذا، أنا ماااااااااااذا ! ؟**

أصـبحت أسـأل نفسـي هـذا السـؤال فـي كـل وقـت بصـراخ عـالٍ فـي أعمـاقي، وبانفعـال هـائج صـامت يفجـر كـل أحشائي...

أقنعتني أمي بسهولة للذهاب إلى أمرأة متدينة تستطيع أن تعرف هل أنا مسحورة أم لا ؟

خلال دقائق من وصولنا إليها اكتشفت هذه المراة أني مسحورة، وأن من سحرني امرأة وأخذت تعدد مواصفاتها، فتشكل في ذهني صورة زوجة أخي الكبير، فالمواصفات المذكورة قريبة جدًا منها...

لقد أصبحت أتنقل من امرأة إلى أخرى، وسبع نساء متخصصات في معرفة السحر أجمعن أني فتاة مسحورة، ومضيت على تلك الحال سنتين...

في تلك الأثناء أخبرني أصغر أخوتي عن لقائه بشاب قصته تشبه قصتي، وكان لهذا الشاب صديق مهندس معماري، اعتكف ستة شهور وهو يقرأ عن السحر والطب النفسي، حتى استطاع أن يفرق بين السحر والطب

النفسي، وذهب إلى صديقه وأقنعه أنه مصاب باضطراب نفسي لا يصل إلى حد المرض، ولا يوجد حل إلا بمراجعة طبيب نفسي، وأخذ الدواء المناسب، كما ساعده صديقه ليستطيع مقاومة ذلك والتعايش معه، وأن باستطاعته أن يسير في حياته، وقال لي :

* سأبذل قصارى جهدي لأجد هذا الشاب بإذن الله...

في صباح يوم تاريخي في حياتي اتصل أخي وبشرني أنه وجد ذلك الشاب، وأنه سيزورنا في بيتنا مع صديقه المصاب بالاضطراب، وبعد صلاة العشاء حضر المهندس المعماري مع صديقه، ولما نظرت إلى وجهه أدركت بحدس المرأة الممزقة، أني أمام رجل صادق، أخبرته بكل ما حدث معي، وعن اجماع النساء المتخصصات بمعرفة السحر؛ أني فتاة مسحورة، فقال لي برفق شديد :

* ما رأيك أن نرجع إلى الوراء وتخبريني عن أحداث مشابهة لما حدث معك بعد وفاة أبيك ؟

فأخبرته عن ما يشابه ذلك، وأنا في الخامسة عشرة من عمري قلت :

* في ذلك اليوم صباحًا خرجت من غرفتي متوجهة إلى المدرسة، فرأيت أبي في لباسه العسكري وكان غائب عن البيت عدة أيام، فهرعت إليه لأحضنه؛ لكنه دخل إلى غرفته، فدخلت الغرفة فلم أجده، وعندما لم أنجح في مادة الفيزياء في امتحان الثانوية العامة أصابني خوف شديد من العتمة وأن هناك شخص داخل العتمة يريد الشر بي، ثم تكرر ما يشبه ذلك وأنا في السنة الثالثة في الجامعة...

سألني الشاب :

– هل أخبرني أحد بذلك ؟

قلت له :

* في الماضي كان يحدث ذلك معي ولا ألقي له بالًا حتى أهلي يسمعون هذا الكلام لأول مرة، أما بعد وفاة أبي فالوضع مختلف تمامًا...

قال بعدما ارتشف القهوة :

* من المؤكد أنك فتاة غير مسحورة؛ لماذا ؟ لأن السحر على ندرته في مجتمعنا لا يمكن أن يصيب فتاة عزباء فهو لا يصيب إلا المتزوجين، كما أن السحر يأتي فجأة ودفعة واحدة ولا يستمر في حده الأقصى أكثر من ستة أشهر، كما أنه يغادر دفعة واحدة، وأغلبه على ندرته يكون في مجال العلاقة بين الرجل وزوجته، ستقولون لي من أين جئت بهذا الوصف للسحر، أقول إنه فهم لما جاء في القرآن والسنة الصحيحة،

فالله عز وجل يقول عن السحر :

(فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنْ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ)

وعندما سحر الرسول صلى الله عليه وسلم صار يخيل إليه أن جامع زوجاته، والحقيقة أنه لم يفعل ذلك، كما أنه لا يستطيع أن يجامع نسائه، مع أنه صلى الله عليه وسلم كان يطوف على زوجاته في بيوتهن في ليلة واحدة، فالآية والحديث جاءت في مجال العلاقة بين الرجل وزوجته، وما حدث مع الرسول مخالف للعادة والطبيعة وجاء دفعة واحدة وبشكل مفاجئ، وغادر دفعة واحدة فقد جاء في سحر الرسول (كأنه نشط من عقال) أي كأنه كان مربوطًا وحل الرباط وجاء في رواية (مكث ستة أشهر) فالسحر لا يطول زمنه فالله عزوجل يقول (ولا يفلح الساحر حيث أتى)

فالساحر لا يفلح باستدامة السحر فترة طويلة، كما أن الله عزَّ وجلَّ أنزل المعوذتين، فقد جاء في حديث سحر النبي صلى الله عليه وسلم (فأتاه جبريل فنزل عليه بالمعوذتين) فبعد تلك الحادثة أصبحت المعوذتان تشفيان من السحر...

لقد اقتنعت تمامًا بما قاله المهندس، واقتنعت من أعماقي أني لست مسحورة فسألته :

* إن لم أكن مسحورة، فما تفسير ما يحدث معي ؟

– صدقوني أني عند نهاية الست أشهر من القراءة والبحث أني بكيت حتى بللت دموعي لحيتي، بكيت على نعمة العقل والقلب والصدر، فالأمراض النفسية مع تفصيلاتها، والاضطرابات الذهنية والنفسية عددها كثير وكثير، ونسبة السحر في الحالات التي تحدث في مجتمعنا لا تتجاوز الواحد في الألف، وما بكيت إلا على

الـذين يـدمرون حيـاتهم عـن طريـق المشـعوذين أو حتـى بعـض المشايخ أصحاب النوايا الحسنة...

أنـت يـا أختـي تحتـاجين لمراجعـة طبيـب نفسـي ولا بـدَّ لـك مـن أخـذ الـدواء والحمـد لله حالتـك ليسـت صـعبة لأنـك مازلـت تسـتطيعين القيـام بوظائفـك كاملـة، وأنـت تمتلكـين بفضـل الله روح مقاومـة قويـة، وأنـا واثـق بـإذن الله أنـك ستستطيعين التعايش معه...

أول شـيء أريـدك أن تفعليـه هـو أن تسـجلي علـى الفـور فـي مركـز لتحفـيظ القـرآن الكـريم، والأمـر الأخـر أن لا تخبـري أحـدًا بعـد اليـوم بمـا يحـدث معـك، وابتعـدي قـدر الإمكـان عـن التلفـاز، ووقـت فراغـك اقرئـي فـي كتـب الثقافـة الإسـلامية، واجبربـي نفسـك علـى دخـول الأمـاكن المعتمـة شـيئًا فشـيئًا، وأخـر شـيء أريـدك أن تفعليـه هـو دعـوة مـن حولـك إلـى عكـس مـا تعـانين منـه، ادعـي مـن حولـك إلـى حفـظ القـرآن وإلـى عـدم الخـوف مـن غيـر الله، أكثـري مـن

تـذكير مـن حولـك أن النفـع والضـر مـن عنـد الله وأنـه لا حـول ولا قـوة إلا بـالله... وتـذكري دومًـا أنـك فـي أمـس الحاجـة لعون الله عز وجل...

قلت له والأمل يشق طريقه إلى قلبي :

* وهل سأشفى إن فعلت ذلك ؟

قال مبتسمًا :

* الأغلـــب... لا... لكنـــك تبتعـــدين عـــن نقطـــة الانهيـــار وفقـدان السـيطرة... وتسـتطيعين مـع الـزمن أن تتعايشـي مـع هذا الابتلاء دون أن يشعر بك أحد...

تساءلت ؟

* لماذا لا تريدني أن أخبر أحدًا ؟

– لأن ثقافة المجتمع في هذه المسألة تؤثر سلبًا على تعايشك والسير في حياتك، حتى إذا تزوجتي إن شاء الله لا تخبري زوجك إطلاقًا، ولا أي أحد يمت بصلة به...

*** وكيف سأخفي الدواء ؟**

– عليك أن تجدي حلا...كوني مع الله وسيجعل لك مخرجًا...كوني مع الله لأنك في أمس الحاجة إلى عونه...

وبدأت أطبق ما قاله المهندس، واستطعت أن أحفظ في سنة عشرة أجزاء من القرآن، وفي اليوم الذي أنهيت فيه حفظ الجزء العاشر تقدم لخطبتي شاب توفت زوجته وعنده فتاة صغيرة، ولما جلس معي قال لي محاولاً اقناعي :

*** هذه الفتاة يتيمة هي في أمس الحاجة لمن يعينها، والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه...**

تـذكرت علـى الفـور حـديث المهنـدس – تـذكري دومًـا أنـك في أمس الحاجة لعون الله عز وجل...

وتزوجـــت وحاولـــت أن أعـــين هـــذه الفتـــاة اليتيمـــة قـــدر اســـتطاعتي، ولـــم أخبـــر زوجـــي اطلاقًـــا بمشـــاكلي النفســـية وكنـــت أحـــاول أن أخفيهـــا عنـــه قـــدر المســـتطاع، وأخـــذت دوائـي باسـتمرار دون معرفـة زوجـي، ومـن العجيـب أنـي بعـد أخـــذ الـــدواء بســـنتين؛ أصـــبحت أتعـــايش مـــع اضـــطراباتي النفسـية مـن غيـر معانـاة، وأحيانًـا تمـر أسـابيع وشـهور دون معاناة نفسية، وإذا جاءت المعاناة تأتي سريعًا وتذهب

كنت أقول في نفسي باستمرار :

* يبـدو أن الله أعـانني لكـوني صـادقة فـي اعانـة هـذه الفتـاة اليتيمة...

النهاية

زياد غزال فريحات

قصة

المقامر

زياد غزال فريحات

على موائدٍ تحفها الأعداء اعتاد أن يجلس عباس للعب القمار، فقد اختار ألعاب الورق بأنواعها المختلفة؛ لاعتمادها على المهارة والخبرة بالإضافة إلى المصادفة والحظ، وكره ألعاب النرد لاعتمادها على المصادفة والحظ فقط.

القمار لم يدمر أشياءً جميلة في حياة عباس فقط، بل جعل حياته بأسرها دمارًا، فقد بلغ نصفَ قرنٍ أمضى نصفه في اللعب على موائد القمار التي صهرت شخصيته وجعلته مقامراً بفكره وعقله وعواطفه وقلبه وسلوكه أيضًا.

في أحد الأيام وقفت مجموعة من الرجال أمام بيته يطالبون بحقوقهم، نظر إليهم من نافذة البيت وتفرس

وجـوههم وسـبر أغـوار أطبـاعهم، وقـرأ أفكـارهم، وعنـدما حـاولوا اقتحـام بيتـه، طلـب مـن أبنائـه السـبعة أن يهجمـوا علـيهم، وطلـب مـن ابنـه الكبيـر أن يحمـل أختـه ذات السـنة والنصـف، ويـدخل فـي وسـط الرجـال، حتـى تتـأذى بيـنهم، نفّـذ الأبنـاء لعبـة أبـيهم، وقـام هـو علـى الفـور بالاتصـال بالشـرطة، وسُـجن الرجـال جميعًـا، ثـم قـام بعـد أيـام باسـقاط حقـه عـنهم، بعـد أن كتـب علـيهم تعهـدًا بعـدم التعـرض لـه وأبنائه .

لجـئ عبـاس إلـى الخـداع، وتعامـل معهـم كمـا يتعامـل مـع أعدائـه علـى موائـد القمـار، الـذين يلعبـون مـع عبـاس ليسـوا أعـداءً فـي الحقيقـة، لكـن هـذا شـعوره الحقيقـي تجـاه كـلٍّ مـن يجلـس معـه علـى مائـدة القمـار، عبـاس رمـى بأبنائـه فـي وسـط الرجـال الغاضـبين، كمـا يرمـي بورقـه فـي لعبـةٍ يشـعر أنـه محتـرف فيهـا، لـم يتـذكر مسـقبل الأبنـاء، ولا آلامهـم، لأنـه

كان في حالة أمل في الفوز والنجاة، هذا الأمل لم يفارقه على مدى عشرين سنة رغم خساراته الكثيرة والكبيرة، فكلّ خساراته المؤلمة والموجعة لم تثنيه عن مواصلة اللعب، عباس اعتمد على كشف أوراق مهاجميه، وفاجأهم بأبنائه، فقد تمرس كيف يحجب أوراقه عن الخصوم.

قبل عدة سنوات جاء إليه شابٌ يطالب بحقه فأشهر مسدساً في وجهه، وهدده بالقتل، فنظر إليه ثم أخرج هاتفه وبدأ بتصوير الشاب وهو مشهراً مسدسه ثم قال له عباس:

* أنت أمام ثلاثة خيارات، إما أن تقتلني وإما أن أذهب بالشكوى عليك لأسجنك، وإما أن تعطيني المسدس

وتأخذ الهاتف وتمسح ما تم تصويره، معك نصف دقيقة، بعدها سأتحرك إلى قسم الشرطة، بعد نصف دقيقة والشاب في حالة ذهول أخذ عباس المسدس وأعطى الشاب الهاتف وخاطبه مبتسماً:

* مسدس جميل كنت أتمنى أن أمتلك مثله، فشكرًا لك على هذه الهدية، لا تريد أن تمسح التصوير... لا بأس أنا سأقوم بمسحه... رافقتك السلامة...

لقد قامر عباس بحياته، بعد أن حاول قراءة الشاب، فقد تنبأ بسلوك الشاب؛ لأنه اعتاد أن يفهم أنصاف الحركات، ويكتشف كثيرًا من المعاني، والأشياء المهمة من وراء إشارة عابرة، وحركة صغيرة لا يُلقى لها بالاً، كما أنه اعتاد أن يقرأ العيون، ويفهم قسمات الوجوه مهما حاولت الإختفاء، لقد فعل ذلك كله في سرعة البرق مع الشاب المشهر سلاحه، فعل ذلك وهو على يقين أن النهاية ستكون دائمًا في مصلحته، هذا اليقين الكاذب

رافقه على مدى عشرين سنة ورغم خساراته الكثيرة، ما زال على يقينه...

عندما نظر عباس إلى المسدس، قرر أن يخاطر دون أن يدخل في قلبه الخوف، فالشيء الوحيد الذي يخاف منه هو الخوف، كان بإمكانه أن يعطي الشاب حقه ويرتاح ولا يصل إلى هذه المرحلة، فالبشر الأسوياء يناضلون لأجل الطمأنينة والسكينة، أما عباس فهو يجتهد لركوب المخاطر، يركب المخاطر وكأنه يمتلك أرواحًا كثيرة، البشر الأسوياء يخاطرون عندما يضطرون، أما عباس فهو يخاطر مختارًا؛ لأنه يعتقد أنه إما أن يكون رابحًا والأخرين خاسرين، وإما أن يكون ذئبًا أو تأكله الذئاب، فهو من الصعب أن يفهم أن الحياة يمكن أن يكون فيها أكثر من رابح، أو أن يتجنب الجميع الخسارة...

قبل سنوات قليلة اشتدّ الخلاف بين عباس وشركائه في متجره فقالوا له:

* يا عباس يجب أن تتغير قواعد اللعبة ونصبح شركاءً في إتخاذ القرار، فضحك عباس بصوت عالٍ وقال في نفسه:

* كيف يريدون من مقامر أن يغير قواعد اللعبة لغير صالحه... مشكلة هؤلاء أنهم لم يفهموا، ماذا تفعل الموائد في رجل مدّة عشرين سنة، فأنا لايمكن أن أقبل مختارًا بتغير قواعد اللعبة لغير صالحي، شركاء عباس اكتشفوا صعوبة الصراع مع عباس، فلا يوجد قاعدة للتعامل معه على أساسها، فالقاعدة الوحيدة التي يتعامل بها المقامر هي أن لا قاعدة...

عباس مراوغ عنيد، لكنه قليل الصبر، قلة الصبر عند عباس هي النقطة التي سار عليها شركاء عباس، وهي

سيرهم مع الصبر الطويل، ولا مجال سوى الصبر الطويل، فعباس عندما يخسر لا يتراجع بل يسعى جاهدًا لتعويض خسارته فالصبر الطويل هو من يراكم الخسارات...

إنَّ عباس لديه وهم كبيرٌ، بقدرته على التحكم في أي لعبة أو صراع وأن في مقدوره أن يسيرهما حسب إرادته، وأن لديه قدرة هائلة على التوقع.

الصبر الطويل في الصراع هو أنجع الطرق للصراع مع المقامر، لتتراكم خساراته وانتظار صدمة تزيل الوهم الذي امتلك عقله، وهو القدرة على التحكم في مسار اللعبة أو مسار الصراعع...

***** النهاية *****

زياد غزال فريحات